لماذا أنا

كيرلس حكيم

Odabaa
OD
2000
للنشر و التوزيع

رواية / لماذا أنا

تأليف / كيرلس حكيم

الناشر/ أدباء ٢٠٠٠

الطبعة الأولى / ٢٠١٩

رقم الإيداع /٢٢٩٨٦ - ٢٠١٩

الترقيم الدولي /٩- ٠٤- ٦٧٢١-٩٧٧-٩٧٨

تدقيق لغوي / إيهاب محمد إبراهيم

غلاف / أسامة أمين

تنسيق وإخراج /محمد فايز

حقوق النشر والطبع والتوزيع محفوظة لدار أدباء ٢٠٠٠ للنشر والتوزيع-٢٠١٩

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو جزء منه أو اختصاره بقصد الطباعة واختزان مادته العلمية أو نقله بأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك دون موافقة خطية من الناشر مقدما.

كل ما نُشر في هذا العمل مسؤولية المؤلف، ودار النشر غير مؤسله عما ورد في هذا العمل

دار أدباء ٢٠٠٠ للنشر والتوزيع

نشر – توزيع

01020812429 – 01099654718

العنوان: ش وهبه- فيصل – الجيزة

اهداء

إلى كل من ساهم ولو بجزء بسيط في ولادة هذه الرواية..
اهديها إليكم

كل ما في يدك ليس كل ما تتمناه، فهناك بعض الأشياء
نفتقدها ونظل نبحث عنها ولا نجدها.

إنه بيتٌ لحماية الأطفال من برد الشتاء وحر الصيف،
ولكن لا يستطيع إشباعهم من حنان الأم والاطمئنان في
وجود الأب.

إنه الملجأ.

إنه جوع وليس له شبع.. عطش ولا يوجد من يرويه..
احتياج ولا أحد يسد ذلك الاحتياج..

إنه الحب.

الفصل الأول
حب.. أفضى إلى دماء

الزمان: نهار شتوي بارد .

المكان: أحد شوارع الضاحية الأرستقراطية للعاصمة.

الحدث: صدفة تجمع زميلي الجامعة "طارق" و"سارة"، وما إن تلاقت عيناهما، ارتفع حاجبا كل منهما من دهشة المفاجأة، وبدون تفكير اندفع كل منهما نحو الآخر مبتسمًا، ولم تفارقهما الابتسامة حتى بعد أن تلامست أيديهما متصافحين.. كانت سارة أسبق بالكلام، فقالت:

"إيه الصدفة الحلوة دي ؟"

فردَّ بعبارة تتراقص حروفها فرحًا: "صدفة خير من أي ميعاد"

وقبل أن يسترسل في الكلام قاطعته سارة قائلة: "يلّلا ناخد تاكسي علشان نلحق المحاضرة".

فردَّ مسرعًا: "محاضرة إيه والجو جميل كده والقمر ماشي معايا"

فتوقفت عن السير ونظرت إليه نظرة إعجاب ممزوج بالعتاب والدلال:

"لحد إمتى هاستحمل جنانك، كل ما نتقابل، تقولي كلمتين من بتوعك دول، ولما أحكيلك على اللي جوايا ناحيتك، وأقولك تعال اطلب إيدي من بابا تسكت وتقول بعدين.. الأسبوع اللي جاي.. الشهر اللي جاي.. السنة اللي جاية..

وأنا خلاص مبقتش قادرة أستحمل.. دا حتى أهلي زهقوا منّي، من كتر ما بارفض العرسان من قبل ما يدخلوا وبدون مبرر.. وفوق دا كله بمسح دموعي بنفسي وبطبطب عليها كمان".

بعنف يجذبها طارق من يدها باتجاهه صارخًا:

"مش بمزاجي.. أنت عارفة إني بحبك لدرجة العشق، بس عندي حاجة تمنعني دلوقتي إني أطلب إيدك للجواز، وبكرة لما تعرفيها هتعذريني جدًا".

تنظر "سارة" إلى السماء على أمل أن تضغط على دموعها فتمنعها من السقوط، ولكن كل محاولاتها فشلت، وسقطت من عينيها الخضراوين دمعتان ساخنتان، وقالت وصوتها مخنوق بالدموع:

"هنفضل كده لحد إمتى.. لحد ما نكبر ويتعمل فرحنا في دار المسنين"

وبمجرد سماعه لتلك العبارة لم يتمالك "طارق" نفسه، فقفز ضاحكًا، ودار حولها دورة كاملة، وأحاطها بذراعيه، محاولًا أن يسترضيها، فيما كانت تحاول تجفيف دموعها، ثم جذب يدها بقوة وقال:

"يا حبيبتي، انتي استحملتيني كتير ومش هيحصل حاجة لو استنيتي شوية".

وحاول أن يرفع يدها باتجاه فمه ليقبّلها، فجذبت "سارة" يدها بسرعة خاطفة، وقالت في حدّة: "لاحظ إن إحنا في الشارع، والناس بتبص علينا، وبعدين أنا مش هاتحمل تاني.. كفاية وجع لحد كدا."

كانت تتحدث ودموعها لا تتوقف، بينما هو مشغول "بالطبطبة" على يديها، ومن جديد نزعت منه يدها وقالت: "كان لازم من الأول أدوس على قلبي، لما كنت بتغيب عني وتسيبني وترجعلي أكتر من خمس مرات، وكل مرة ترجع فيها تحايلني بكلمتين.. يا ريتني سبتك وقتها، كان زمان الوجع خف، وحبيت غيرك".

قاطعها بدلال: "ممكن تحبي غيري يا "سارة"؟!"

فردت بتحدٍّ: "وأحسن منك كمان".

عندها قفز من جانبها إلى أمامها، فتلاقت عيناهما، وعاد يسألها:

"ممكن تحبي غيري يا "سارة"؟!"

فهربت بعينيها من نظرات عينيه، وقالت: "أسيبك بإرادتي أفضل ما تسبني أنت.. ما أنا ممكن أستحملك، وفي الآخر تكسرني أنت وتسبني، ساعتها هصاحب الوجع طول عمري، لكن أنا مش عايزة دا يحصل، وبجد مش عايزة أعرفك تاني".

تسمَّرت قدما "طارق" من هَوْل كلماتها، ولم يصدق ما تسمعه أذناه، أما هي فأطلقت لقدميها العنان، وراحت تعبر الطريق إلى الاتجاه الآخر ..

وأغلب الظن أنها لم تكن تدري ما تفعل، ولم تكن تشعر بما يجري حولها، بدليل أنها لم تنتبه لأصوات السيارات التي كانت تقطع الطريق بسرعة كبيرة، فصدمتها إحدي السيارات وأطاحت بها في الهواء لعدة أمتار، ثم سقطت على الأرض، والدماء تتفجر من جسدها.

وبسرعة البرق وصل طارق إليها.. حاول رفعها من الأرض، ولكنها كانت أشبه بجثة لا حراك فيها، فصرخ بصوت كالبركان: "سارة.. سارة.. ردِّي عليّ يا سارة".

وتعالت أصوات المارة الذين تجمَّعوا لمشاهدة "الحادثة"، وهتف بعضهم صارخًا: "حد يطلب الإسعاف يا اخوانّا.. حد يطلب الإسعاف".

الفصل الثاني
كَفُّ حبيبي!

السحاب يخيم على السماء فيحجب عن الأرض ضوء الشمس.. والهدوء يخيم على الجامعة إلَّا من بعض التجمعات الطلابية المبعثرة في الساحة الرئيسية للجامعة، والتي يتبادل فيها الطلاب الضحكات والأحاديث في كل شيء.. سياسة ورياضة ومواصلات وأفلام سينما ورسائل السوشيال ميديا .

وفي كافتيريا الجامعة كان زملاء " طارق" و"سارة" ينتظرون وصولهم، ويقضون الوقت في أحاديث من كل شكل ولون، ماعدا "ناير"، حيث كان مشغولًا بشيء ما، أضفي على وجهه اضطرابًا واضحًا، وراح يلتفت يمينًا ويسارًا، وكأنه ينتظر وصول شخص ما..

وظل على حاله هذه، حتى ظهر عم "محروس" عامل بوفيه الجامعة، فتوجه نحوه مسرعا، ودارت بينهما همهمات لم يسمعها أحد، ثم تركه "ناير" وعاد مسرعا إلى زملائه ووجهه يكاد ينفجر فرحا.

ومباشرة توجه "ناير" إلى زميلته "عبير"، فاقترب منها قائلًا برقة متناهية:

"هاتى إيدك كده وافتحيها.."

فقالت بدهشة: "إيه ؟.. هتدينى فلوس ؟!..لا مش عايزة"

وأطلقت ضحكة عالية، أثارت انتباه كل زملائها..

ورد "ناير" بصوت ممزوج بالخجل: "يادي الكسوف.. لا يا ستي، مش هاديكي فلوس.. هو أنا أصلًا حيلتي حاجة عشان أديكي فلوس.. أنا بس عايز أشوف حاجة."

فهزت رأسها بعلامة القبول، وفتحت يديها، وهي تبتسم ..

وبرفق مدّ" ناير" يده، وأمسك بأطراف أصابع "عبير" وراح يدقق النظر في خطوط يدها ..

مضت لحظات من الصمت، قطعتها ضحكة "عبير" وقالت: "إيه ياعم.. روحت لحد فين ؟".

"ناير": "عمرك طويل يا أستاذة".

فقالت: "ودي حاجة تزعلك يا أستاذ ؟!".

فقال: "لا طبعا، دي حاجة تفرحني".

عبير: "طيب.. كفّي بيقول حاجة تاني غير عمري!".

ناير: "آه.. كفك بيقول إنك بتحبي واللي بتحبيه قريب منك".

وبسرعة سحبت "عبير" يدها، وهبّت واقفة، وقالت بحدة وهي ترفع وجهها لأعلى بشيء من التعالي: "لا مش بحب حد".

قاطعها "ناير" وهو لا يزال جالسًا وقال: "يبقى لو ما كنتيش بتحبي، هتحبي حد اليومين دول.. والحد ده قريب منك."

انفجرت عبير ضاحكة وقالت: "ويا ترى مين السافل اللي ها أحبه ده؟" وواصلت الضحك بصوت عالٍ..

ناير: "طب ما تفكرى كده وقولى".

ترفع "عبير" يدها إلى خدها وكأنها تفكر، وتقول: "مممممم.. مين؟.. مين ؟".

ثم تتسع حدقة عينيها وتهتف مندهشة "اوعى تقول إني هاحب "طارق" صاحبك الكئيب ده؟.. ده أساسًا كان بيحب بنت وطلّع عنيها وكل شوية يسيبها ويرجع تاني، لحد ما البنت قربت تتجنن".

يقاطعها ناير: "لا يا ستي.. مش طارق.. فيه حد غيره."

تعود "عبير" للتظاهر بالتفكير وتقول: "امممم.. طب ما تقول انت بقى"

ناير: "هقولك بس بشرط".

عبير: "وأنا موافقة.. بس قول".

ناير: "غمضي عينك الأول وما تفتحيهاش غير لما أقولك".

عبير: "إشطة.. أنا موافقة".... ثم أغمضت عينيها".

وعندها أشار "ناير" لعم "محروس" - عامل البوفيه- الذي جاء مسرعًا حاملًا تورتة متوسطة الحجم، مكتوب في وسطها: "أنا بحبك.. تتجوزيني ؟".

ثم أشار لعامل الكافتيريا، الذي قام على الفور بتشغيل فيديو على شاشة الكافيه.

وبعدها طلب "ناير" من "عبير" أن تفتح عينيها، وبدون أن يتكلم أشار إلى شاشة الكافتيريا..

كانت عيناه البنيتان تلمعان، وهو ينظر إلى الشاشة، لتشاهد الفيديو الذي كان عبارة عن تسجيل لناير يقول فيه: "أنا بحبك يا عبير.. ممكن تقولي عليّ إني مجنون أو أي حاجة تاني، بس بجد أنا اتعلقت بيكي، حتى حياتي وتفاصيلها بارسمها ليكي عشان كده وقدام كل الناس اللي بيسمعوني دلوقتي باقولك بحبك".

تضج الكافتيريا بالتصفيق، والصفير، وصراخ من كل زملاء "ناير" و"عبير".

كانت السعادة بادية على الجميع، مما فعله "ناير"، ما عدا "عبير" التي هبّت واقفة وصرخت في حدة وغضب: "وانت فاكر بعد اللي عملته ده هاجري عليك واخدك في حضني واقولك وأنا كمان بحبك وجو الأفلام ده؟!.. لا طبعا مش هيحصل".

ووقعت كلماتها كالصاعقة على الجميع، وساد صمت أشبه بصمت القبور.. فتابعت كلامها بحدة، بعد أن أشارت بشيء من الاحتقار إلى "ناير": "أنا أصلًا لو كنت بكلمك ده علشان انت واحد متعرفش حد في الجامعة غير كام واحد، ولا حتى ليك أهل يسألوا عليك، أنا بجد بكلمك علشان بعطف على كل اللي بيحصل معاك من ظروف وانت لسه مكمل وبدون يأس، ولسه محافظ على الحلو اللي فيك، لكن ده مش معناه إني هحبك ونتجوز ونعيش مع بعض".

كانت كلمات عبير تخرج من فمها وكأنها رصاصات، مصوبة إلى قلب "ناير" الذي وقف مذهولا لا يكاد يصدق ما يسمعه، وقبل أن ينطق بكلمة، واصلت

عبير كلماتها الصارخة وقالت: "يا ابني.. أنا حتى لو وافقت أتجوزك، أهلي مستحيل يوافقوا على واحد زيك، مقطوع من شجره وعايش في ملجأ".

"ملجأ! ".. كانت هذه الكلمة مثل قنبلة انفجرت في رأس "ناير" فلم يتمالك نفسه، وسقطت دموعه، بعد أن عجز أن يمنعها، وعجزت قدماه عن حمله، فألقى بجسده فوق كرسي قريب، ونظر إلى الأرض ممسكًا رأسه بكلتا يديه..

وعندها هدأت نار غضب "عبير" فقالت موجهة حديثها لزملائها الذين وقفوا ينظرون صامتين بعد أن أدهشهم الموقف: "أنا آسفة.. لازم أمشي دلوقتي".

وأسرعت في اتجاه باب الكافتيريا، ولمَّا وصلته استدارت وأشارت بإصبعها إلى "ناير" قائلة:

"انت يا.. ابقى امسح رقمي من تليفونك، ومتفكرش تكلمني تاني.. سلام يا حبيب".

غادرت "عبير" الكافتيريا، تاركة "ناير" يتعذب بكلام لم يسمعه طوال حياته من أي شخص، ولكنه اليوم يسمعه مِمَّن أحبها، وأمام عدد ليس قليلًا من الزملاء، الذين راحوا يتسربون خارج الكافتيريا، فيما بقي هو وألمه ودموعه وأحزانه، فأخذ يحدث نفسه بصوت مسموع: "أنا ذنبي إيه؟.. ذنبي إيه إن أبويا وأمي ماتوا وسابوني في الدنيا، وحيد فقير؟.. ذنبي إيه إن كنت حتى معرفش مين أبويا ومين أمي؟!.. ذنبي إيه يا ناس؟.. ذنبي إيه يا رب؟.." ثم دخل في نوبة بكاء طويلة.. وظل على هذه الحال، لما يقارب الساعة، وبعدها غادر المكان بدموع نازفة ألمًا وقلب كاد يتوقف نبضه حزنًا .

وظل يسير هائمًا على وجهه، حتى وصل إلى كوبري قصر النيل، ووقف فوق الكوبري وأعطى ظهرة للمارة، ونظر إلى مياه النيل وصرخ باكيًا مثل طفل صغير فقد أبويه، ولطالما تعوّد على هذا النوع من البكاء، فكثيرًا ما كان يصرخ بدون ما يسمعه أحد، ودون أن يجد من يهوّن عليه مرارة جراحه، أو يأخذه في حضنه كي يخفف عنه ..

وكان ينظر إلى ماء النيل المتدفق الهادر، بينما عقله وجروحه تنزف دمًا منذ صغره ..

وبعد فترة من الغرق في الأحزان، وضع يده في جيبه لكي يخرج منديلًا يمسح به دموعه التي انهمرت على خديه، فسقط منه شيء ما.. نظر إليه فوجد شيئًا أشبه بمفتاح قديم، فتركه وانصرف.. وبعد أن سار خطوات، كأن شيئًا داخله يصرخ، طالبًا منه أن يعود ويأخذ المفتاح القديم، ولكنه واصل السير، ولكن صراخه الداخلي كان يزداد، طالبًا العودة وأخذ المفتاح، فعاد وهو يجر قدميه وأخذ المفتاح وألقى به في جيبه وتوجه عائدًا إلى مثواه الأخير.. إلى الملجأ .

الفصل الثالث
الصندوق اللغز

كانت الساعة تشير إلى الثالثة عصرا، عندما دخل الملجأ رجل يبدو عليه الوقار.. وعلى الفور اتجه إلى حجرة الألعاب الموجود بها الاطفال ورفع يده محييًا: "صباح الخير يا ولاد".

وبصوت جماعي: "صباح النور يا عمو"

بابتسامة عاد الرجل للحديث: "وحشتوني كلكوا جدا جدا".

بامتنان كبير يرد الطفل "أيمن": "وانت كمان ياعمو".

ودون أن تغيب ابتسامته، راح الرجل يفتح حقيبة كبيرة كان يحملها، وقال: "شوفتوا جبتلكم معايا إيه النهاردة".. وأخرج من الحقيبة لعبًا وحلوى، وبدأ في توزيعها على الأطفال.

وبينما لا يزال يوزع هداياه، هتف ابنه الذي كان يصحبه في زيارته للملجأ، "وأنا كمان عاوز هدية يا بابا".

وببراءة قال أحد أطفال الملجأ: "بعد إذنك يا عمو.. هو يعني إيه بابا؟".

وقبل أن يجيب الرجل، توالت أسئلة الأطفال، فقال أحدهم: "ليه يا عمو لما أعيط مش بلاقى حد يسكتني؟.. لكن لما كنت بروح الملاهي كنت دايما بشوف

الأطفال لمّا يعيطوا أمهاتهم بتسكتهم، عشان كده ياعمو أنا نفسي يبقى عندي بابا وماما".

يصمت الرجل مذهولًا، لا يعرف كيف يجيب عن تلك الأسئلة الجارحة المريرة، فيضحك ضحكة يداري بها دموعه.. وبذكاء حاول قطع طوفان أسئلة الأطفال، فاحتضن أحدهم وقال: "بصوا شوفوا "عادل" عامل إيه في وشه ؟.. شكلك بقى مسكر أوي بالشوكولاتة يا "عادل".

فيضحك "عادل".. ويقول مبتسمًا: "أنا أصلا مسكر لوحدي يا عمو.. واخواتي دول كمان مسكرين".

واندفع "أيمن" و"عصام" وألقوا بأنفسهم فوق "عادل" وأخذا "يزغزغانه" وهما يضحكان هاتفين: "يا مسكر إنت بالشوكولاتة".

في نفس اللحظة يدخل "ناير" إلى الملجأ، ويمر من أمام حجرة الألعاب متوجهًا إلى السلالم صاعدًا إلى الدور الثاني، وكان يصعد مسرعًا، فتعثر في إحدى درجات السلم، فكاد أن يسقط، ولكنه أكمل صعوده إلى الأعلى، ضاربًا بيده حوائط السلم حتى وصل إلى غرفته، وراح يحطم كل ما تطوله يداه ..

وسمع الرجل الضيف أصوات التكسير المتواصل، فترك الأطفال مشغولين باللعب بما قدّمه لهم من هدايا، وخرج متوجهًا إلى حيث مصدر صوت التكسير، ولمَّا وصل إلى الحجرة، وجد "ناير" في حالة غضب عارمة، ممسكًا بيده قطعة زجاج محاولًا الانتحار بقطع شرايين يده، فاندفع نحوه، وخطف الزجاجة من يده، وألقى بها بعيدًا، واحتضنه محاولًا تهدئة ثورة غضبه، وراح يردد: "ماتقلقش.. كله هيبقى تمام".

حاول "ناير" الإفلات من بين يدي الرجل، فألقى بجسده على كرسي قريب، وراح يضرب إحدى يديه بالأخرى ويصرخ: "سنين وانا ساكت على حالي.. ومركز في كل تفاصيل كلامك اللي بتقولهولي وبرضه لسه مش فاهم.. قلتلي عيش وانس اللي فات.. نسيت اللي فات ومبقتش أفكر فيه.. وفكرت في الحب، لكن الحب مفكرش فيا، كل حاجة انشغلت بيها طلعت تافهة من حواليا."

واصل "ناير" صراخه ودموعه تنهمر على خديه "عارف أنا مليش في الدنيا إلا إيه، المفتاح القديم ده، والصندوق القديم المرمي تحت سريري".. وبسرعة اندفع باتجاه سريره، وأخرج صندوقًا قديمًا.. وعاد للصراخ: "أهو الصندوق ده والمفتاح ده هما كل ممتلكاتي في الدنيا، وحتى دول مش عارف جولي إزاي.. مش عارف!.. وإيه يعني، ما أنا مش عارف مين أبويا ومين أمي وهما سابوني ليه وأنا جيت هنا إزاي؟.." وغرق في البكاء.

حدث كل هذا، بينما الرجل الضيف جالس يراقب ما يحدث.

مرت فترة ليست قصيرة، والصمت يلف المكان، والمشهد شبه متوقف.. "ناير" يجلس فوق سريره باكيًا.. والضيف يجلس في كرسي مواجه له، ينظر إليه..

وبعد فترة طويلة من الصمت، قال الرجل: "إيه اللي في الصندوق ده يا "ناير"؟.. نظر "ناير" إلى الصندوق ولم يتكلم، فقام الرجل وقال: "هات المفتاح اللي معاك علشان أفتحه وأشوف فيه إيه".

باستسلام تام يمدّ "ناير" يده بالمفتاح إلى الرجل الذي بدأ يحاول فتح الصندوق القديم الذي يشبه علبة برفيوم فاخر، والمزخرف من الخارج بمياه الذهب، وعليه ثلاث صور من الثلاثة جوانب.

الفصل الرابع
انْفِجارُ رَحِم

سقط "طارق" على ركبتيه حاملا بيده رأس حبيبته الغارقة في دمائها، وظل يصرخ: "متسبنيش يا سارة، أنا عارف إني السبب في ضياعك من إيدي.. سارة ياساااارة.. قومي يا سارة."

وسرت همهمات بين الجموع الواقفة حول الحادثة.. وقال أحدهم: "يا جدعان حد يحوشه خلينا نغطي الست.. حرام عليكوا كدا".. وعقّب آخر: "لا حول ولا قوة إلا بالله".. وقال ثالث: "ربنا يصبرك يا ابني."

وتطوع أحد الواقفين فأحضر قطعة قماش من سيارته، وأمسك رجلان بيد "طارق" ليبعداه عن حبيبته، فاستسلم منكسرا، وقام أحدهما بوضع قطعة القماش على الجسد الممدد وسط الطريق، وابتدأ من عند قدميها، وقبل أن يغطى وجهها تحرك جسد "سارة" وبدأت تتنفس، فصرخ الرجل: "دي عايشة يا رجالة" ردّت روح "طارق" في جسده، أملًا في نجاة حبيبته، وزادت فرحته بعد سماع صوت الإسعاف وهي قادمة، فاقترب من "سارة" وقال لها: "ما تخافيش يا حبيبتي.. هتخفّي وهترجعيلي تاني."

بسرعة كبيرة حمل رجال الإسعاف "سارة"، ووضعوها داخل السيارة، وإلى جوارها جلس "طارق" محتضنًا يدها بكلتا يديه، واقترب من أذنها وقال هامسًا: "مش هسيبك يا سارة.. أنا معاكي متخافيش."

وخلال دقائق قليلة وصلت "سارة" ومعها "طارق" إلى المستشفى، وبعد فحص سريع، قرر الأطباء ضرورة إجراء جراحة عاجلة لإنقاذها، وبدأوا تجهيز غرفة العمليات..

توجه "طارق" إلى أحد الأطباء وقال: "خير يا دكتور؟" فسأله الطبيب: "إنت قريبها؟".

-طارق: أنا خطيبها.. فنظر إليه الطبيب وقال: "شوف.. أنا مش هاخبّي عليك، خبطة العربية فجرت الرحم ومفيش احتمال إنها تخلف بعد العملية؛ لأننا هنشيل الرحم، ولازم نعمل لها العملية حالًا".

وبدون تفكير، قال طارق: "تمام يا دكتور.. المهم هي تعيش، ومش مهم تخلف، المهم تقوم بالسلامة".

الطبيب: "تمام.. بس في إجراءات لازم تتعمل".

طارق: "كل الإجراءات أخلصها مع حضرتك".

الطبيب: "مش انت اللي هتخلص الإجراءات.. دي لازم والدها أو والدتها تيجي".

طارق: "طب.. اعمل العملية حضرتك، وأنا أكلم والدتها وأخليها تيجي".

الطبيب: "للأسف مينفعش يا ابني، دي فيها مسئولية قانونية".

طارق: "تمام.. ربع ساعة وتكون والدتها موجودة".

وأخرج طارق هاتفه وضغط زر الاتصال على صديقة "سارة" التي تسكن في الشقة المجاورة لها .

طارق: "الو يا "غادة" اسمعيني كويس عشان مفيش وقت.. "سارة" خبطتها عربية واحنا دلوقتي في المستشفى وعايز أمها تيجي حالًا عشان الدكاترة مش عايزين يدخلوها العمليات إلا لو هي جت بنفسها".

غادة: "انت بتقول إيه.. انت أكيد بتهزر.. صح ؟!".

طارق: "أنا بتكلم جد، ولازم تكلمي والدتها علشان لازم تيجي تمضي على موافقتها بالعملية".

غادة: "عملية إيه، أنا مش فاهمة حاجة".

طارق: "لما تيجي هتعرفي كل حاجة، المهم من دلوقتى ولحد لما تيجي متقوليش حاجة لوالدة سارة، سبيني أنا هتكلم معاها".

غادة: "مااااشي".

أغلقت " غادة " وتوجهت مسرعة إلى باب شقتها، ثم إلى باب شقة سارة المجاورة، وطرقت الباب بقوة ورنت الجرس عدة مرات، فلم يجب أحد، فبدأت تبكي بشكل لا إرادي، وعاودت الاتصال بطارق، فرد طارق وقال بلهفة: "أيوه يا "غادة" عملتي إيه ؟"

غادة: "مفيش حد جوه في شقة سارة".

طارق: "يعنى إيه مفيش حد ؟!.. اتصرفي يا "غادة".

وأثناء حديثها مع "طارق" نظرت "غادة" إلى سلم العمارة، فوجدت والدة سارة صاعدة إلى شقتها.

إزيك يا "غدغودة".. قال والدة سارة، ولم ترد "غادة" التحية، ولكنها قالت بصوت مخنوق بالحزن: "الحقي يا طنط "سارة" في المستشفى تعبانه ولازم نروحلها دلوقتي.

صرخت أم "سارة" وقالت: "بنتي في المستشفى، يا ساتر يارب، إيه اللي حصلها يا غادة؟".

غادة: "بسيطة إن شاء الله يا طنط، بس المهم نروحلها دلوقتي المستشفى.

أم غادة: "طب يلَّا بسرعة".

وبعد ثوانٍ كانتا في الشارع واستوقفتا تاكسي، وتوجهتا الى المستشفى وبمجرد وصولهما، حاولت "غادة" الاتصال بطارق لتعرف مكان سارة في المستشفى، بينما لم تطق الأم الانتظار، وراحت تسأل كل من يقابلها من الممرضات عن "سارة"، ووجهتها إحداهن إلى غرفه العمليات، وأمام غرفة العمليات قالت إحدى الممرضات: "انتي والدة سارة؟". فردت بلهفة: أيوه أنا، خير يا بنتي إيه اللي حصل؟

الممرضة: "خير يا ماما بس مفيش وقت أشرحلك، بنتك تعبانة دلوقتي ولازم تمضي على الورق ده عشان نلحق نعملها العملية".

فقالت أم سارة بلوعة: "عملية.. عملية إيه يا بنتي، أنا بنتي سليمة مش محتاجة لعمليات".

الممرضة: "متقلقيش، هتبقى كويسة.. بس لازم حضرتك تمضي الورق دا قبل ما نعمل العملية، وكل تأخير فيه خطر على "سارة"".

كلام الممرضة زاد من خوف أم سارة على ابنتها فقالت: "طيب.. بسرعة وأنا مستعدة أمضي لكوا على كل اللي انتوا عاوزينه، بس المهم ننقذ بنتي".

فعلت أم سارة كل ما طلبته إدارة المستشفى، وبعدها خارت قواها، وعجزت قدماها عن حملها، فتهاوت منهارة، وقبل أن تسقط على الأرض، وصل طارق إلى المكان، فحملها وأجلسها على كرسي، وقال: "سلامتك يا طنط، متقلقيش على "سارة"، هتبقى كويسه".

فقالت بصوت واهن: انت مين؟ فرد بصوت منخفض: أنا طارق زميلها في الجامعة بس بلاش تجهدي نفسك بالكلام دلوقتي علشان متتعبيش أكتر من كدا".

مرت الدقائق، ثقيلة بطيئة وكأنها ساعات.. وخرج طبيب من غرفة العمليات، مناديًا بصوت عالٍ: "أستاذ "طارق" لو سمحت عايزك بسرعة هنا"

فأسرع إليه "طارق" وقال: "خير يا دكتور".

الطبيب: "فيه مصيبة حصلت مكناش عاملين حسابها"

الفصل الخامس
السِّرُّ

بعد أن فتح الضيف الصندوق القديم، أخرج منه شيئًا يشبه قطعة حديد تتكون من ثلاثة أقسام متصلة ببعضها البعض، وأعطاها لناير الذي حاول فتحها، فلم يقدر، فألقى بها جانبًا وعاد للجلوس على السرير ..

التقط الضيف قطع الحديد الثلاثة، وراح فحصها فرأى بها شيئًا استوقفه، فهتف بصوت عالٍ طالبًا من "ناير" أن يلقى نظرة على القطع الحديدية الثلاث.

في البداية رفض "ناير"، وقال: "مش عاوز أشوف حاجة".. وبعد إلحاح الضيف، أخذ " ناير" يدقق النظر في قطعة الحديد، وبعد طول تفحيص وتدقيق، اكتشف وجود فتحتين لمفتاحين في قطعة الحديد ..

وبسرعة قال الضيف: "فين المفاتيح اللي معاك ؟"

وبدون أن يتكلم، أخرج "ناير" المفتاح الذي كان قد سقط منه قبل ساعات فوق كوبري قصر النيل، وبعد أن تركه عاد إليه والتقطه ووضعه في جيبه .

سأله الضيف: "فيه مفتاح تاني ؟"

فقال "ناير" بلامبالاة: "فيه مفتاح تاني مع صاحبي "طارق.."

فقال الضيف: "ممكن تتصل بصاحبك علشان يجيب المفتاح اللي معاه".

ناير: "المفتاح اللي مع طارق نسخة تانية من المفتاح اللي معايا".

الضيف: "مش معقول.. أكيد دا مفتاح تاني".

ناير: "لا.. هو نسخة تانية من نفس المفتاح اللي معايا".

الضيف: "هنشوف.. بس ممكن تتصل بصاحبك يجيب المفتاح اللي معاه".

لم يعطِ " ناير" أهمية كبيرة لكلام الضيف وظل مكانه بدون حراك، وسيطرت عليه حالة كسل وملل، جعلته وكأنه مربوط في مكانه.

أما الضيف فكانت حماسته تزداد لحظة بعد أخرى، وانهمك في تنظيف قطعة الحديد، وبعد أن انتهى من تنظيفها صرخ: "دي مش حديدة عادية، دي فيها سر كبير، والحل الوحيد علشان ترتاح وتعرف إيه اللي جوه، هو أننا نجيب المفتاح التانى، ونجرب نفتحها".

نظر له "ناير" بدهشه، وقال: "انت عرفت الحاجات دي إزاي".

يضحك الضيف قائلا: "أنا يا سيدي، عالم فك شفرات ومخطوطات، وعندي خبرة في حاجات كتير من النوع ده، بس المهم دلوقتي فين المفتاح التانى، أرجوك كلم صاحبك يجبلك المفتاح علشان نشوف السر اللي موجود ده ممكن يوصلنا لإيه".

ناير: "تمام.. هرن عليه دلوقتى.. وبتباطؤ أخرج الهاتف وضغط زر اتصال".

كان "طارق" في ذات اللحظة، لا يزال يتحدث مع الطبيب أمام غرفة العمليات التي ستجري فيها "سارة " جراحتها، ووقتها كان قد ترك هاتفه مع "غادة"،

وبمجرد أن رن التليفون توجهت "غادة" إلى "طارق" وقالت: "تليفون لك يا "طارق".

ودون أن يسألها عمن يتصل بها، قال: "طب اقفلي لحد ما اجيلك".

عاد "طارق" لحديثه مع الطبيب مستفسرا عن المفاجأة التي لم تكن في حسبانهم قبل إجراء جراحة سارة، فقال الطبيب: "سارة فصيلة دمها "O" ومفيش في المستشفى نفس الفصيلة".

تنهّد طارق وانفرجت أساريره وقال: "أنا نفس فصيلة الدم دي يا دكتور".

الطبيب: "يا ابني هنحتاج دم كتير، ممكن تتعب انت كمان لو أخدنا منك الكميه دي لوحدك".

طارق: "متقلقش يا دكتور، هبقى كويس".

الطبيب: "تمام اللي تشوفه، ما دمت مصر على كدا".

نظر الطبيب إلى طاقم التمريض القريب منه، وقال: "يا نبيلة"، فردت إحداهن: "نعم يا دكتور"، فقال: "تعالي خدي الدم من الأستاذ وبسرعة علشان مفيش وقت".

في هذه اللحظة تصل "غادة" ووالدة سارة إلى طارق، أمام غرفة العمليات، فبادرته والدة غادة: "إيه اللي بيحصل يا "طارق" طمنّا؟".

طارق: "متقلقيش يا طنط.."سارة" كويسة، هما بس عايزين كيسين دم وهتبقى تمام".

تسحب الممرضة أكياس الدم المطلوبة حتى تنتهي، ويحدث ما توقعه الدكتور، حدث هبوط لـ "طارق" ولكن فعلت الممرضه اللازم، فبدأ يستعيد وعيه ويفتح عينيه ليجد أمامه "غادة" تنظر إليه بعطف..

غادة: "حمدًا لله ع السلامة يا "طارق".. تليفونك ده ياعم بيرن من بدري".

يبتسم طارق دون أن يتكلم ثم يغمض عينيه محاولًا استعادة قوته.

عدم رد "طارق" على تليفون "ناير"، أصاب الأخير بالقلق عليه، ودار في حجرته مشغول الذهن، ثم وقف أمام النافذة ونظر للضيف وقال: "دي عاشر مرة أرن على "طارق" وميردش".

الضيف: "معلش استنى شويه ورن تاني يمكن نايم".

وفي المستشفى فقد "طارق" وعيه مرة أخرى، وما إن رأته والدة سارة يغيب عن الوعي، إلَّا وأطلقت صرخة كبيرة "يا دكتور، يا ناس الحقوني الواد بيضيع مننا".

بسرعة تدخل ممرضة تتحسس نبضه ودرجة حرارته، وتنظر بابتسامة لكي تطمئن "غادة " ووالدة سارة، وقالت: متقلقيش.. هيبقى كويس، هاديله جلكوز وهيبقى زى الفل.

في هذه اللحظة تنتهي جراحة "سارة"، وتخرج من غرفة العمليات، ويدخل الطبيب على "طارق" ليطمئن عليه، فتبادره والدة سارة مستفسرة عن ابنتها، فقال الطبيب: "بنتك بقت زي الفل.. لولا أكياس الدم اللي خدناها من "طارق" مكناش هنعرف نعمل أي حاجة".

والدة سارة: "بجد يا دكتور بقت كويسة ؟".

يجيب الطبيب وهو يفحص نبض طارق: "آه، الحمد لله، تقدروا بعد ساعة من دلوقتي تدخلوا تشوفوها، ومتقلقوش على "طارق" هيبقى تمام".

مرت الساعة، فأسرعت أم سارة إلى ابنتها، وتركت "غادة" بجانب طارق، وبعد مرور دقائق يفتح "طارق" عينيه، وينظر حوله فيجد "غادة"، فسألها: "سارة خرجت من العمليات ؟".

غادة: "آه، خرجت وبقت زي الفل، المهم انت كويس ؟".

طارق: "أنا لازم أشوفها".

غادة: "لا، مينفعش، انت تعبان".

وبدون أن يتكلم نزل "طارق" من على السرير وسار مستندًا على الحائط، وعند مروره من الباب تعثر فأمسكته "غادة" بيديها، وقالت: "قولتلك انت تعبان، استنى لما تفوق من الدوخة اللي عندك دي".

طارق: "لا.. لازم أشوفها".

فتساعده غادة في السير حتى يصل إلى غرفة "سارة"، فيدخل ويجلس بجانبها، وكانت والدتها خارج الغرفة في ذلك الوقت، فنظر إليها وقال: "حمدًا لله على سلامتك يا حبيبتي".

سارة: "الله يسلمك يا طارق".

طارق: "طارق" حاف كدا، طب مفيش قلبي أو حبيبي على الأقل".

أبعدت "سارة" نظرها عن "طارق".. وقالت: "حبيبي دي كان زمان".

طارق: "كان زمان ودلوقتي وبعدين وكل حاجة يا مزتي، وبعدين أنا خلاص هاخطبك رسمي".

سارة: "وأنا مش موافقة".. وتحاول أن تضحك من شدة الفرح.

طارق: "لا، بلاش ضحك علشان العملية، أنا خلاص معنديش دم تاني ليكي".

سارة: "وانت من امتى عندك دم؟".

تتدخل "غادة" في الحوار وتقول موجهة كلامها لطارق: "قذف جبهة يا معلم.. عشرين صفر لـ "سارة" يا "طارق".

يضحك "طارق" ويقول وهو ينظر لـ "سارة": تصدقي فوقتيني بعد ما طيرتي جبهتي كدا، وعادي برضه، طيري يا حبيبتي براحتك، بس عشان تعرفي اني مدلعك أهو، ولما تقومي أبقى أوريكي مين اللي معندوش دم.

سارة: "تقصد إني معنديش دم زيك.. هاا".

طارق: "أقصد إني أنا الوحش، الواطي، بس بحبك".

في تلك اللحظة تدخل والدة سارة الغرفة، فوجدت الجميع يضحكون.. فقالت:

"إيه.. بقيتي كويسة أهو يا "سارة" و"طارق" كمان وبتضحكوا".

فيرد طارق: "بصراحة يا طنط، وبالمناسبة غير السعيدة دي.. أنا باطلُب منك إيد "سارة".

والدة سارة مندهشه: "هنا في المستشفى، ليه ملهاش بيت ؟!".

طارق: "لا طبعا يا طنط، أكيد هاجيلكم البيت، بس أنا قولت أبلغك علشان تعملوا حسابكم في الشربات بقى".

يضحك الجميع، وفي نفس الوقت يرن هاتف "طارق" الذي كان لا يزال في يد "غادة"، فقالت: "خد ياعم موبايلك ده.. رن يجي سبعين مرة".

طارق: "إيه ده "ناير" الووو".

ناير: "عايزك ضرورى يا "طارق"، لازم تيجي".

طارق: "آجي فين ؟!.. أنا في المستشفى".

ناير: "ألف سلامة عليك".

طارق: "لا.. مش أنا اللي تعبان، دي "سارة".

ناير: "سارة تعبانة ؟!.. طب آجيلك يا ابنى دلوقتي".

طارق: "لا، متتعبش نفسك، كله تمام، المهم كان في حاجه مهمة ؟!".

ناير:" آآآه، جدااا".

طارق: "طب أنا جي، سلاااام".

نايز: "يا ابني لو مش هتقدر بلاش، خليك مع سارة".

طارق: "لا هقدر آجيلك، باااي".

نايز: "باااي".

يغلق "طارق" موبايله بعد انتهاء المكالمة وينظر إلى "سارة" ويقول: "معلش بقى لازم أروح مشوار دلوقتي، أخلصه وآجيلك".

أم سارة: "يا ابني انت تعبان".

طارق: "تعبان إيه بقى يا طنط، ما خلاص بقيت كويس من بعد ما شوفت "سارة".. ثم يغادر المستشفى متوجهًا إلى الملجأ ليقابل "نايز".

* * *

وفي حجرته بالملجأ يقف "نايز" منتظرًا وصول "طارق" محاولًا أن ينسى ما حدث له طوال اليوم، فقد كان يفكر في الصندوق، وبينما كان مستغرقًا في التفكير، سمع صوت "طارق" يناديه، فنظر من النافذة فوجد "طارق" بوجه شاحب يبدو عليه التعب.

أسرع "نايز" لكي يساعد صاحبه حتى يصل لغرفته.. وبينما يسيران، قال "نايز" معتذرًا: "أنا آسف يا "طارق"، مكنش لازم أوافق إنك تيجي وانت في الحالة دي".

طارق: "ولا يهمك يا صاحبي، بس المهم كنت عايز إيه.. خير؟".

نايز: "لما ندخل الأوضة هقولك".

دخل "طارق" مستندًا على "نايز" إلى حجرته، وجلس "طارق" على مقعد بالقرب من الشباك، وقال له "نايز": "استريح.. استريح خالص".

وبعد لحظات من الصمت قال "نايز" لـ "طارق": "بص يا سيدي، أنا عايز المفتاح اللي ادتهولك علشان اكتشفت انه مش نسخه زيادة، لكن طلع إنه مفتاح تاني بيساعد على فتح قِطع الحديد اللي في الصندوق دي".

طارق مندهشا: "حديدة إيه ؟".

نايز: "المهم دلوقتي هات المفتاح وانت هتفهم كل حاجة".

يفكر طارق للحظات ويقول: "يا نهار اسود، انت بجد عايز المفتاح ؟!".

نايز: "أيوه يا "طارق" في إيه ؟.. المفتاح ضاع ولا إيه ؟!".

طارق: "مش عارف".

نايز: "نعم ؟!.. يعني إيه مش عارف يا "طارق" ؟!

طارق: "هحكيلك.. بص يا سيدي".

الفصل السادس
ابْنُ الرومانسية!

في اليوم التالي.. الجامعة.. الساعة ١٢:٠٠ ظهرًا.

"عبير" تصل إلى الجامعة وتتوجه إلى زملائها في الجامعة وملامح وجهها يبدو عليها الغضب، وما أن وصلت إليهم، استقبلها ماجد، مبتسمًا: "جيتي يا عبير... إزيك يا واطية".

وقال فهد معلقًا: "ياعم، هي نستنا خلاص ونسيت أيام الساندوتشات واللي بينا"

-وتدخل آدم في الحوار وقال: "خلاص يا جدعان، آهي رجعت وجت علشان تسلم علينا، كفاية غلاسة بقى".

تكتم "عبير" غضبها وتحبس كلامها في فمها، كي لا تضايق أحدًا بردها، ونظرت الى "ابتسام" وقالت: "عايزاكي يا "ابتسام" لوحدك في كلمتين".

ابتسام: "تمام.. بعد إذنكم يا شباب".

ابتعدت "عبير و"ابتسام" عن زملائهما، الذين دخلوا في همهمات.. وقال آدم: "ما لها المجنونة دي!".

فهد: "سيبك منها ويلَّا نروح نلعب بلاستيشن".

ماجد: "على رأيك، يلَّا".

على أحد المقاعد الخالية بحديقة الجامعة جلستا.. وقالت "ابتسام": "إيه يا ابنتي، فيكي حاجة غريبة مش مطمناني، وباين عليكي متضايقة أوي".

عبير: "أيوه فعلًا، أنا اتخانقت مع "ناير" وهزأته".

ابتسام: "يخرب بيتك، ملقتيش غير الواد الغلبان، دا مفيش في أخلاقه واحترامه في الجامعة كلها".

عبير: "أهو اللي حصل بقى، بس هو السبب".

ابتسام: "ليه.. كان عملك إيه يعني ؟!".

عبير: "جابلي تورتة مكتوب عليها بحبك وكدا، وعامل فيديو على شاشة الكافيه، وقاللي قدام كل الناس أنا مجنون بيكي وبحبك، وفرّج عليّ الناس وقعدوا يصقفوا، روحت هزأته أنا بقى قدامهم وصقفت له بطريقتي".

ابتسام: "عملتي إيه يعني ؟".

عبير: "ماقولتلك هزأته، وقولتله انت ملكش أهل، وأنا بعطف عليك وكدا، مش فاكره الباقي، أصل التهزيء كان كتير".

ابتسام: "تصدقي.. انتي معندكيش دم".

عبير: "هو أنا جايه أحكيلك علشان أتشتم منك".

ابتسام: "ما هو انتي فعلًا تستاهلي الشتيمة، "ناير" مغلطش يا "عبير" دا قالك بحبك، يعنى لو مكنتيش هتوافقي كنتِ على الأقل احترمتِ اللي عمله علشانك ورفضتِ بذوق، مش بقلة أدب وتهزيء".

عبير: "لا يستاهل، علشان هو مينفعش ليا، لأني ببساطة معرفش عنه حاجة، غير انه عايش في ملجأ وأبوه وأمه ميعرفش عنهم حاجة.. اللي يقول ماتوا في حادثة، واللي يقول اختفوا، وبعد دا كله ممكن يكون ملهوش أب أو أم شرعيين، يعني من الآخر لقيط، ومع ذلك عمل لي إنه ابن الرومانسية".

ابتسام: "انتي إزاي بتتكلمي على الناس بالطريقه الزبالة دي، "ناير" ملهوش ذنب في أي حاجة حصلت له و بتحصله، "ناير" راجل بمعنى الكلمة، وده مش دفاع عنه، لكن ملهوش نصيب يبقى ابن باشا أو ابن دكتور زيك يا أستاذة عبير"

عبير: "تصدقي أنا غلطانة إني اتكلمت معاكي أصلًا، أنا ماشية وسيبهالك".

ابتسام: "استني يا عبير".. ثم تتمسك بها، وتقول والدموع تنساب من عينيها:

"أنا عارفة بتفكري في إيه وإزاي، وعارفة كمان إن المجتمع ده مش بيدي الفرحة والسعادة لحد زي ناير، اتكتب عليه يواجه عطف الناس عليه وبعدهم عنه في نفس الوقت، بس في حاجة انتي متعرفيهاش، ناير اتعرف عليّ في البداية علشان أقدر أقربك منه، وكان بيسأل عليكي كتير، لأنه كان خايف إنك ترفضي واحد في حالته، وأنا من غبائي كنت باشكر فيكي جدا، وأقوله إنك مستحيل تفكري بالسطحية دي، لأنك بتدوري على حب بجد، ونفسك في واحد يحتويكي، وعمرك ما بتفكري في أسرته وعيلته؛ لأنك ببساطة هتحبيه هو

وملكيش علاقة بأصله وفصله، وقولت له كمان كلام كتير عنك، ودلوقتي اتأكدت إني كنت غلط، أنا السبب في جرح ناير مش انتي".

عبير: "انتي دايمًا السبب يا ابتسام في كل البلاوي.. فاكرة يوم ما فكرتي تكلمي سارة وتقوليلها طارق بيحبك، شوفي حالها دلوقتي عاملة إزاي، ولما طارق دخل ساعتها في اكتئاب ومكنش بيكلم حد غير مرة واحدة لمّا إداكي حاجة ملفوفة في علبة صغيرة، مردتيش تحكيلنا عنها، برضو كنتي غلطانة.. ودلوقتي أنا همشي، ونصيحة من أختك كفاية غلط لحد كدا".

الفصل السابع
لعنة فرعون!

"احكي يا سيدي لمَّا نشوف آخرتها معاك إيه!"

هكذا قال "نايرا" لطارق، عندما أحس بأنه يريد أن يتحدث عن سر لم يعد قادرًا على كتمانه..

أخذ "طارق" نفَسًا عميقًا وأغمض عينيه للحظة، ثم قال:

"أنا كنت عايش في قرية كلها آثار، كانت معظم بيوت البلد تحتها آثار فرعونية وذهب ومقابر، لكن بيتنا كان يختلف عنهم شوية؛ لأن كان تحته مقبرة ملك من ملوك الفراعنة، واتأكدنا لمّا جالنا واحد اسمه فرعون، وده كان من أشهر الناس اللي ممكن تعرف الحاجة بمجرد ما يدخل البلد، المهم خبط على الباب وأول ما بابا فتح، قاله: "أنا فرعون، وجايلك علشان أخلّيك غني في يوم وليلة".

وبدون توقف واصل طارق الحكاية كأنها لا تزال تحدث الآن أمام عينيه، وراح يحكيها وكأنها شريط فيديو يراه "لايف" فقال: "تحدث أبي بصوت بالكاد كان يسمعه هذا الرجل، وقال للرجل: "أنا هابقى غني، ودي تتعمل إزاي بقى؟!""

فرعون: "طب مش هتقول اتفضل الأول".

والد طارق: "آه، لا مؤاخذة، اتفضل.. الشاي يا أم طارق".

فرعون: "ملهوش لزوم، هما كلمتين، وهمشي علشان عندي مواعيد شغل مستعجلة".

والد طارق: "اتفضل قول اللي انت جي علشانه".

فرعون: "البلد دي أول ما دخلتها النهاردة عرفت إن بيتك فيها أهم مقبرة في البلد كلها، ودي مقبرة ملك، فيها كنز يسد ديون مصر بحالها".

والد طارق ضاحكًا: "ديون مصر!.. لا يا عم أنا عايزه يسد ديوني بس ويعيشني عيشة حلوة، مش أكتر من كدا".

فرعون: "أنا مش بهزر".

ثم حدق في وجه والد طارق بنظرة توحي جديته في كلامه، فقال له الأخير: "تمام يا فرعون فهمتك، بس قولي بقى، أنا سمعت إن الحاجات اللي بتطلع دي لازم ليها سحر معين وطرق خاصة.. هل هتعمل كدا في المقبرة دي علشان تتفتح ؟".

فرعون: "طبعًا، بس متقلقش كله تحت السيطره"

ثم نظر إلى طارق، وقال: "ابنك ده هيساعدنا كتير في فتح المقبرة".

فتوتر الأب وأخذ ابنه في حضنه.. وقال: "لا، بلاش الواد يدخل في المواضيع دي، الواد لسه صغير".

ضحك فرعون وارتسمت على وجهه الابتسامة وقال: "متخفش، أنا بس هحضر عليه الجن بتاعي، وكمان أعمل تعويذة علشان نقدر نفتح المقبرة، واطمن مش هيحصله حاجة".

والد طارق: "لا.. أنا مش هكسب حاجة لما ابني يحصله حاجة".

فرعون: "قلتلك متخافش، أنا مش هاعمل حاجة تبوّظ سمعتي في السوق، ولّا انت مسمعتش عني!".

والد طارق: "بصراحة سمعت وعرفت إنك كويس في الحاجات دي".

ضحك فرعون وقال: "خلاص يبقى اتفقنا".

في تلك اللحظة ضحك طارق مُقلدًا ضحكة فرعون وقال: "أنا مش خايف منك"

فنظر إليه فرعون متفحصًا وقال: "باين عليك واد شجاع، إيه رأيك نلعب لعبة مع بعض.. أنا وأنت وأبوك ؟!"

فقلت: "يلَّا، أنا موافق نلعب مع بعض".

فنظر فرعون للأب ليحثه على الموافقة وقال: "أهو ابنك طلع أشجع منك، هاا قولت إيه ؟".

بعد تفكير وقلق وحيرة وافق الأب وقال بتردد: "ماشي، أنا موافق، وربنا يستر"

عندها انفرجت أسارير فرعون وقال: "كده تمام.. أمشي أنا دلوقتي وآجيلك بالليل، بس اوعى حد يعرف، إحنا مش ناقصين، الشرطة تيجي تطب علينا بعد ما نتعب في فتحها".

طمأنه والد طارق، وقال: "متقلقش من الناحيه دي".

يغادر فرعون البيت ويغلق الأب الباب خلفه، فتخرج الأم من حجرتها وتقول بدهشة: "إيه يا ابو طارق اللي هتعمله ده!! انت عايز تضيع الواد مننا؟".

فقال والد طارق: "كالعادة واقفة جوه تسمعي كل حاجة بتتقال هنا".

ثم ينظر الأب إلى ابنه ويقول: "ياااه على الحريم دول يا طارق ميفتهمش حاجة أبدًا".

أم طارق: "أنا مش بهزر يا راجل, أنا خايفة بجد على الواد".

ينظر الأب بغضب للأم ويقول: "يعني أنا كمان مش خايف عليه, بس أنا برضو خايف عليه يكبر ميلقيش حاجة تسنده, إحنا مش هنعيشله طول العمر، وحتى لو عشنا, الفلوس اللي بتجيلي يا دوب بتكفي مصاريف البيت بالعافية, دا غير الديون اللي عليَّا, واديكي شايفة حال البلد كل يوم في الأسوأ".

الأم: بس..

يقاطعها الأب: "مفيش بس, إحنا هنعمل اللي هيقوله فرعون, وأكيد الراجل قاصد خير، خصوصًا إنه بياخد مبلغ حلو في كل حاجة بيطلّعها".

الأم: "اعمل اللي تشوفه, بس خلّيك فاكر إني برضو مش راضية على اللي بيحصل ده".

ثم مدَّت يدها إلى طارق وقالت: "وانت يا طارق، تعال عايزاك جوه يا حبيبي".

تمسك الأم بيد طارق ثم تدخل الغرفة وتغلق الباب خلفها, فتأخذ طارق في حضنها وتبدأ بالبكاء الحار لدرجة أن طارق بلغ به التأثر لدرجة تتساقط الدموع من عينيه مثل أمه, ولكن هذا الطفل الشجاع المحب لوالديه, بدأ يمسح دموع أمه ويقول لها: "يا ماما متخفيش، إحنا هنلعب مع عمو اللي جه ده, وبعد ما نخلص هجيلك علشان ألعب معاكي زي كل يوم".

الأم: "بس أنا عايزاك تلعب معايا أنا بس يا طارق"

وتبكي، وبعد أن أنهكها البكاء، مسحت دموعها وقالت بحنان: "بس على العموم أنا مطمنة علشان هتبقى مع بابا يا حبيبى"

ثم صمتت لفترة، وبعدها نادت على ابنها: "طاارق.. طارق".

فرد الابن: "إيه يا ماما".

الأم: "أنا بحبك أوي اووووي".

طارق: "وأنا كمان يا ماما بحبك قد الدنيا دي كلها".

يمر الوقت حتى تغيب الشمس ويختفي نور النهار ويأتى الليل بظلمته, ومعه يأتي فرعون ويطرق الباب, فيفتح الأب، ويقول بكلمات ممزوجة بالخوف:

"في ميعادك بالظبط".

يدخل فرعون إلى البيت بسرعة وكأن أحدًا يطارده ويقول: "هاا عملت اللي اتفقنا عليه".

الأب: "كله تمام، مفيش حد يعرف إنك عندي النهاردة, وجبت كمان الحاجات اللي قولتلي عليها, هى أي نعم غالية وحيرتني وخلتني كمان أستلف فلوس بسببها، بس معلش كله علشان المصلحه تمشي".

فرعون: "كدا تمام أوي, هات بقى الديك الأسود ده والبخور الأفغاني ده وتعال ورايا".

يتجه فرعون ومعه الطفل طارق إلى مدخل يؤدي إلى السلم, وما إن وصَلَاه، نظر فرعون إلى الطفل وقال بصوت جاد: "إيه يا بطل، جاهز علشان نلعب؟"

طارق: "آه يا عمو يلَّا".

وبسرعة قام فرعون بإشعال البخور وذبح الديك على أول درجة في السلم, وقام بقراءة جمل من كتاب قديم كان بيده، وكتب بعده بعض الطلاسم بدم الديك على السلم, ثم أخذ يبلِّل إصبعه بالدم وكتب على رأس طارق طلاسم ووضع يده على رأسه، فسقط الطفل على الأرض, فجرى الأب ليحمل ابنه, فأمسكه فرعون من جلبابه، وأمسكه مهددًا: "لولمسته هيموت, ابعد عنه ومتعملش أي حاجة تاني ولا تتحرك".

بدأ طارق يقف ويتحرك في أرجاء البيت ويتحدث بلغة غريبة وبصوت غريب وكأنه أصبح رجلًا في الستين من عمره.. ظل يتحرك حتى توقف أمام أول درجة

سلم, وبدأ يتحدث، فأسرع فرعون بالبخور على درجة السلم, ثم بدأ يكرر خلفه نفس الكلمات التي يخرجها الطفل, وأخيرًا تشققت الأرض وخرج منها شيء لم يرَ أحد مثله.. شيء ذو فرو كثيف ولونه أسود قاتم, ولا يوجد له ملامح سوى عينيه الحمراوين فقط ,ثم دفع هذا الشيء الطفل بعيدًا عن السلم، فاصطدمت رأسه بالحائط, فغاب عن الوعي.

يصرخ الأب: "يخرب بيتك، عملت إيه في الواد!!".

فرعون: "في حاجة غلط حصلت, بس تقريبًا الجن مقبلش يفتح المقبرة غير بلعنة هتفضل مع طارق".

والد طارق: "لعنة! نهارك أسود, يخرب بيتك، لعنة إيه دي!".

فرعون: "ابنك مش هينفع يحب حد؛ لأنه أي حد هيحبه هيموت, بس متقلقش فيه حل".

والد طارق: "اعمله بسرعة، انت لسه هتقولي".

فرعون: "ما هو الحل ده لازم له وقت, لأني أنا أقدر أشيل منه اللعنة دي، بس بعد عشرين سنة من دلوقتي".

والد طارق صارخًا: "إنت إيه اللي بتقوله ده، أنا ابني لازم يخف".

فرعون: "مفيش حل تاني غير إنك تعلمه إزاي يتحكم في مشاعره وميحبش حد أوي وخلاص لحد ما تخلص العشرين سنة دي.. المهم دلوقتي تعال نشوف الكنز اللي مستنينا, ومتخافش على ابنك يا عم، أهو بقى مليونير".

ترك الأب ابنه بقلب مفتور، وذهب مع فرعون ليرى الكنز الموعود، وبعد أن انتهى من اكتشاف المقبرة, عرض عليه فرعون أن يترك المنزل مقابل ثلاثين مليون جنيه, فوافق الأب, وبعد أيام أخذ الأب ابنه وزوجته, واشترى فيلا فخمة أشبه بالقصر المنيف في أرقى أحياء العاصمة من المبلغ الذي أخذه من فرعون, ومع الوقت بدأت التعويذة تعمل، فأثرت على الأم؛ لأنه كان يحبها كثيرًا فماتت.

وقبل أن يموت الأب هو الآخر, بدأ يحكي لطارق كل شيء وكيفية التحكم في مشاعره، لكي لا يموت أحد بسببه, ولكن في النهاية مات الأب وعاش طارق وحيدًا، ولازمته نوبات الكوابيس والاكتئاب بسبب ذلك الشيء الذي يسكن داخله حتى أتى يوم وذهبت إليه ابتسام، لكي تعطيه المحاضرات بعد غيابه عدة أيام عن الجامعة، فوجدته في حاله اكتئاب شديدة جدًا, ومع ذلك تكلم معها باقتضاب جدًا وأنهى حوارهما سريعًا، مُعلِّلًا ذلك بأنه يجب أن يجلس بمفرده قليلًا .

تركته ابتسام عائدة إلى منزلها، وبعد أن رجع طارق إلى حالته, وتخلَّص من حالة الاكتئاب، نسي كل شيء, ولهذا لم يعد يتذكر أين فقد المفتاح, وكان كل ما تذكره أنه قد أعطاه لشخص ما، ولكن لا يعرف من هو هذا الشخص .

هنا توقف طارق عن سرد حكايته، فنظر له "ناير"، وقال:

"يخرب بيتك يا طارق, طب كويس إنك مش بتحبني أوي كدا، كنت زماني ميت.. وظل يضحك بصوت عالٍ، وبعد لحظة صمت بادله طارق الضحك، ثم قال: عرفت يا ناير أنا ليه كنت بسيب "سارة"".

نایر: "عرفت، بس أبوس إيدك, افتكر، يمكن يكون حل أزمتي في فتح البتاعة دي".

طارق: "امممم, طب بص، إحنا هنعمل محاولة هتخلّينا نعرف نوصل للمفتاح

نایر مُرحِّبًا: "يااااريت، إيه هي بقى المحاولة دي؟ "

الفصل الثامن
حضن غادة

المستشفى.. اليوم الثاني لسارة في إحدى الغرف، قد تحسَّنت حالتها, ولازمتها صديقتها غادة، وحكت لها تفاصيل ما حدث قبل اصطدام السيارة بها.. وبعد أن سمعت غادة الحكاية قالت:

"إنتي بجد مجنونة يا سارة, إنتي عارفة إيه اللي ممكن يحصل لو حد عرف اللي حصل ؟"

سارة: "أيوه، عارفة يا غادة، بس أعمل إيه يعني, أنا كنت هضيع بين يوم وليلة بسبب طارق اللي لسه لحد دلوقتي حاسة إنه فيه حاجة غريبة من ناحيتي، وأهلي كمان مش بيعبروني غير لمّا أحتاج فلوس آخدها, لكن مش متاح لي إني أتكلم مع حد فيهم أو أحس بحضنهم ولو لمرة واحدة, لكن للأسف، تحسّي إنهم متكتفين ورافضين يحلوا ربطتهم علشاني, والوحيدة اللي ممكن تكون حاسة بيّا شوية هي ماما, لكن أعمل إيه طيب مع طارق, كان لازم أعمل كدا، علشان أعرف مصيري فين".

تتحول نظرة "غادة" الغاضبة إلى نظرة حنان وعطف لصديقة عمرها التي أحبّتها منذ صباها, فتأخذها في حضنها، لكي تخفف عنها، وتقول: "إنتي دايمًا صح يا سارة وعارفة إنك مستحيل تعملي حاجة غلط, بس أنا خفت من الموقف اللي حصل دا, بس عادي بقى، اللي يحصل يحصل، إحنا مش بنخاف لا مؤاخذة".

تضحك سارة، وهي في حضن غادة, ثم تدخل أم سارة الغرفة، ويسعدها تحسن حالة ابنتها، واهتمام صديقتها بها، وتقول بفرح: "إيه الحنان دا كله ؟ دا أنا أغير على بنتي منك يا غادة!".

غادة: "وتغيري ليه يا ماما، تعالي في حضني إنتي كمان وسيبك من البنت دي خالص".

ضحكت سارة، وقالت: "بقى كده, يعني مبقاش ليّا لازمة دلوقتي!".

غادة: "مش أوي يعني, إنتي برضو حبيبتي".

وبعد تبادل الضحكات, تنظر الأم مبتسمة لسارة، وتقول:

"على فكرة يا سارة، أنا نزلت الاستقبال، علشان أسأل على حساب المستشفى, فوجدت طارق دافع حساب كل حاجة وسايب فلوس زيادة في الخزنة كمان".

تبتسم غادة وتميل على صاحبتها وتغمز لها بطرف عين، وتقول: "الله يسهلّه يا ستي"

وترد سارة بشيء من الجدية: "هاتي الموبايل، وبطّلي هزار".

غادة: "إيه، هتعملي إيه ؟!".

-سارة: "هكلم طارق، آشوفه دفع الفلوس ليه من غير ما يقولّي حتى".

ثم تقوم بفتح هاتفها وتضغط زر الاتصال على طارق، ويرد طارق مُسرعًا:

"صباح الفل يا حبيبتي, ومن قبل ما تتضايقي, أنا كنت جايلك دلوقتي، بس عديت على ناير الأول وجايلك على طول".

سارة محاولة إظهار عدم الاهتمام: "لا، عادي، كفاية إنك سهرت طول الليل كله في المستشفى علشانى".

بدلال يرد طارق: "وأسهر العمر كله علشانك يا قلبي، بس المهم، إنتي عاملة ايه النهارده ؟"

سارة: "أنا مش تمام يا أستاذ".

طارق: "إيه يا أستاذ دي.. خير.. إيه اللي حصل ؟"

سارة: "بتروح تدفع حساب المستشفى ليه من غير ما تقولّي.. هاا ؟"

طارق: "دا واجب عليّا.. وبعدين إنتي تُعتبري خطيبتي دلوقتي رسمي كمان بعد ما كلمت أمك، وخلاص بقى، متعقديش الأمور".

تصمت للحظة، ثم تقول: "طيب نأجل الكلام في الموضوع ده بعدين".

طارق: "تمام يا حبيبتي، هقفل أنا، علشان متأخرش عليكي".

سارة: "تمام، باااي".

طارق: "باااي".

وبعد ذلك أغلقت سارة الخط, ودخل أصدقاؤها ليطمئنوا عليها، ومن بينهم ابتسام وعبير.

ابتسام: "صباح الخير يا سرسورة".

سارة: "صباح النور".

عبير: "ألف سلامة عليكي يا سارة, وسورى يا حبيبتي لو جينا متأخرين عليكي, إحنا لسه عارفين حالًا إنك في المستشفى".

سارة: "إيه ده، هو الخبر انتشر بالسرعة دي ؟!"

فترد عليها عبير: "هو في حاجة بتستخبى دلوقتي يا سارة, متنسيش إن الحادثة كانت قريب من الجامعة, يعني ناس من صحابنا شافوا الحادثة".

سارة: "عندك حق، مفيش حاجة بتستخبى".

ابتسام: "المهم تكوني بخير وتقومي لينا بالسلامة".

سارة: "الحمد لله، أنا تمام".

يدخل الدكتور، مقاطعًا الحديث بابتسامة عريضة، ويقول: "صباح الفل يا عروسة".

سارة: "صباح النور يا دكتور".

الطبيب: "دا إحنا اتحسنا خالص, بس لو ينفع أستأذنكم تتفضلوا بره، علشان هغير على الجرح".

ابتسام: "طيب يا حبيبتي، نستأذن إحنا، ونبقى نجيلك في وقت تاني".

سارة: "شكرًا، تعبتكم معايا".

عبير: "ولا تعب ولا حاجة يا حبيبتي, خلّي بالك إنتي على نفسك, سلام".

غادر الجميع غرفة المستشفى بما فيهم غادة ووالدة سارة وتغلق الممرضة الباب, فيتحدث الدكتور مع سارة ويقول: "أتمنى تكوني كويسة يا سارة عن امبارح".

سارة: "شكرا بجد يا دكتور على كل اللي عملته علشاني".

الطبيب: "متقوليش كده، إنتي زي بنتي, وكان لازم أعمل كده, لأن ده اللي كان مفروض يتعمل, واديكي دلوقتي خفيتي, وأستاذ طارق هيخطبك".

سارة: "ده فعلًا, بس أنا خايفة يا دكتور".

الطبيب: "من إيه؟"

الفصل التاسع
مِفْتاحُ ابْتِسَام

قضى طارق ليلة كاملة يحاول تذكُّر الشخص الذي أعطاه المفتاح، ولكنه لم يصل لشي، وفي الصباح توجَّه إلى ناير، وقال: "عندي فكرة تقليدية، علشان نوصل للمفتاح, لكن الحل يكمن فيها".

ناير: "ياعم قول وخلّص".

طارق: "بُص، أنا كل اللي واثق فيه إن اللي خد المفتاح واحد من صحابنا المقربين أوي كمان, علشان كده، هترن انت يا ناير على صحابنا، وأي حد هتكلمه هتستهبل عليه وتقوله: هو في حاجة عندك تخصني ؟ واللي هيبقى معاه المفتاح هيقولك إنه معاه".

ناير: "إنت بتستهبل!"

طارق: "بس ممكن يكون ده الحل, جرّب، مش هتخسر حاجه".

ناير: "أعمل إيه طيب, خلاص هرن وهسمع كلامك لما نشوف آخرتها".

ويبدأ ناير بالاتصال على محمد.. ناير: "الو يا محمد، عامل إيه ؟"

محمد: "تمام يا صديقي، وانت إيه أخبارك ؟"

ناير: "تمام الحمدلله, باقولك صح, هو في حاجة تخصني عندك علشان أنا ناسي بصراحة".

محمد:" آه، فيه".

ناير: "إيه هي ؟"

ثم ينظر لطارق بفرحة ويضع يده على مايك الهاتف ليكتم صوته ويقول لطارق: "شكل فكرتك نفعت ولقينا المفتاح"

فيقول طارق بصوت منخفض: "طب ركز بس شوفه هيقولك إيه".

يعاود ناير حديثه التليفوني مع صديقه محمد: "بتقول إيه يا محمد، مش سامعك"

محمد: "بقولك شرابك المعفن اللي لعبت بيه كورة معايا من يومين، تعال خده علشان قلب الشقة عندي, أحسن أرمهولك في الزبالة".

يرد ناير بيأس: "لا، ارميه في الزبالة يا زفت, واقفل دلوقتي، باي".

ويرد ناير: "آخرتها شراب".

فيشجعه "طارق": "مش مهم، بس الفكرة ممكن تجيب فايدة".

كرر ناير المحاولة مع أصدقائه في كل مكالمة يجريها مع أصحابه, وكانت الردود عليه سخيفة ومحرجة أحيانًا, ما عدا ابتسام التي لم ترد؛ لأن تليفونها مغلق .. وبعد محاولات عديدة فاشلة، ملَّ طارق وناير الفكرة، وقال طارق:

"خلاص أنا همشي دلوقتي، ولو عرفت حاجة كلمني".

ناير: "تمام بس رايح فين ؟"

طارق: "هعدي على البيت أغير لبسي وأروح لسارة المستشفى علشان زمانها مخنوقة منّي".

نارين: "تمام روحلها أحسن تولع فيك".

وقبل أن يودع "نارين" "طارق"، جاءه الضيف من جديد، وسأله: "وصلتم للمفتاح الثاني؟ فرد نارين: لسه بنعمل محاولات".

وعقب طارق: "هنجيبه إن شاء الله، هنجيبه.. هيروح فين يعني؟"

ومن جيب سترته، يخرج الضيف الكارت الخاص به، ويسلمه لنارين ويقول: "ده الكارت بتاعي، لو في جديد كلمني, أو لو وصلت للمفتاح بلّغني وأنا في خدمتك، هجيلك في أي وقت".

نارين: "شكرا جدا على تعبك".

الضيف: "لا شكر على واجب, يلّا بقي سلام".

ينزل طارق مسرعًا إلى سيارته، ثم يركب ملوحًا لنارين بالوداع, وينطلق بسيارته، وبعد دقائق يصل إلى المنزل ويخرج من السيارة, ويصعد السلالم ويتوجه مباشرة إلى غرفته، ويفتح الدولاب ليخرج ملابسه, وعندما سحب قميصه سقطت الأجندة التي يكتب فيها مذكراته على الأرض, فتطير منها بعض الأوراق، فالتقطها من الأرض, ثم جلس على كرسي بجانبه, وظل يطالع تلك الأوراق, فنظر إلى الأولى (٩/ ٣/ ٢٠١٦) "**اكتئاب شديد جعلني أذهب إلى دكتور نفسي**".. الورقة الثانية (٢٤/ ٧/ ٢٠١٦) "**هقابل حبيبتي سارة واعملها مفاجأة حلوة، بس خايف أتعلق بيها اكتر من اللازم**".. الورقة التالية (٩/ ٤/ ٢٠١٧)

"أوجع نفسي وغيري بإيدي، وغصب عني في نفس الوقت، ياارب حلها من عندك".. الورقة التالية (٨/ ٥/ ٢٠١٧) **"اديت المفتاح بتاع ناير لابتسام علشان خُفت أحسن يضيع مني وأنا في الحالة دي أو أنسى مكانه"**.

ينظر طارق إلى الورقة وهو غير مصدق من شدة الفرحة, وبسرعة يفتح هاتفه ويستمر بالرن على ابتسام، ولكن تليفونها كان غير متاح, ثم يعاود الاتصال على ناير، فيرد عليه ناير: "خير يا ابني ما انت لسه سايبني.. إيه الجديد عندك ؟"

بفرح يرد طارق: "خلاص متتعبش نفسك، أنا عرفت مكان المفتاح".

يقفز "ناير" من مقعده فرحًا ويقول: "بجد.. فين طيب قولى ؟"

طارق: "المفتاح مع ابتسام، بس رنيت عليها دلوقتي لقيتها غير متاح, فمهمتك دلوقتي إنك تتابع معاها لحد ما تفتح وتكلمها وتروح تاخد منها المفتاح, وأنا هالبس واروح أطمن على سارة".

ناير: "إشطة تمام".

يغلق طارق الخط ويقوم بتغيير ملابسه، ومباشرة يذهب إلى سارة, وبعد دقائق يكون أمام غرفتها ويطرق الباب, ثم يفتح فتحة صغيرة من الباب، ويدس أنفه وإحدي عينيه في تلك الفتحة، ويقول: "قبل ماهدخل مش عايزك تتنرفزي عليا وتضيعى ريحة الورد اللي جيبهولك ده".

تيتسم سارة وتقول بامتنان وسعادة: "تعيش وتجيب يا حبيبي".

يدخل طارق وفي يده بوكيه ورد شديد الرقة والجمال فتهتف سارة: "الله! دا ورد حلو خالص".

وفجأة وبسرعة خاطفة تمسك بوكيه الورد في يدها وتضرب به طارق على رأسه وتقول: "اتاخرت ليه يا رخم ها!؟"

طارق وهو يحاول أن يحمي رأسه بكلتا يديه: "ما قولنا من غير ضرب بقى، وبعدين كويس إنك قولتي حبيبي, يبقي إيه لازمة الشتيمة والضرب بقى!"

سارة: "امممم, الأستاذ عايز يتوه من الموضوع".

ثم تمسك بالمخدة التي بجانبها وتلقيها على وجهه قائلة: "باقولك كنت فين, ولا من أولها بتخوني, دا أنا حتى لسه ملبستش الدبلة علشان أرميهالك".

طارق بعد أن ابتعد عنها ووقف في وسط الحجرة: "كنت بجبلك الورد وبلبس عشان آجبلك ورد نضيف كده وشياكة, وبعدين لو عايزة أرد الرد الصح على "كنت فين", فأنا هقولك: "كنت في قلبك"

سارة وقد أسكرتها كلمات طارق الرقيقة: "يا سيدي على الرومانسية".

طارق: "أنا طول عمري رومانسي, بس انتي مكنتيش واخده بالك".

سارة: "طب بس بقى ومتفكرنيش علشان منكدش عليك".

طارق: "لا.. خلاص، بلاش خلّينا في دلوقتي أحسن.. إيه.. مش تقومي بقى ولا عجبتك القعدة هنا".

سارة: "هي القعدة هنا مريحة بصراحة، الأكل بيجيلي لحد عندي, وبشوف الناس اللي بحبهم وهما خايفين عليا".

طارق: "طب قومي إنتي بس وانا آجبلك الأكل لحد عندك وآجي معاه كمان".

سارة: "يا سلام وهو انت بتحبني علشان تجيلي".

طارق: "يعني انتي مش عارفة إني بحبك".

سارة: "لا، عارفة إنك كداب وغلس ورخم".

طارق: "طب غمضي عينك وشوفيني جواكي، يمكن الصورة تتعدل".

سارة : "امممم ماشى".

وتغمض عينيها, وبلطف يقبّلها طارق على جبينها, وبعد ما تفتح عينيها, يقول لها وهو يضغط على كل حرف يردده : "كداب وغلس ورخم, بس بحبك".

وبرومانسية طاغية ترد سارة: "وانا بموت فيك يا ولا".

وفي تلك اللحظة يرن هاتف طارق، فيقول: "يا دي الغلاسة هو دا وقته, يا ترى مين ؟"

سارة: شوف، متخافش، مش هضربك".

طارق وهو يخرج الموبايل من جيبه: "طب لو طلعت بنت".

سارة: "هولّع فيك بس يا حبيبي".

يبتسم طارق وهو يفتح: "الو يا ابتسام، إنتي فين يا بنتي ؟"

ابتسام: "معلش بقى كان عندي كورس، وكنت فاصلة الموبايل".

طارق: "طب ناير عايز يسألك علي حاجة، هو رن عليكي ؟"

ابتسام: "آه، بس قولت أشوفك انت الأول، أحسن سارة تكون تعبت ولا حاجة".

طارق: "لا متقلقيش، سارة تمام, إنتي بس رني على ناير علشان عايزك ضروري".

ابتسام: "طيب مااشى باااي".

طارق: "باااي".

تنظر سارة لطارق نظرة غيرة، فيعاجلها: "إيه يا سارة، ما لك ؟ دي ابتسام، وناير كان عايزها".

سارة: "طب ناير عايزها, تكلمك انت ليه".

طارق: "أهو دماغك دي بتخليكي تفهمي الناس غلط, أنا يا ستي رنيت عليها الأول علشان أقولها ناير عايزك، هياخد منك حاجة بتاعته, بس، فرنت عليا علشان كانت فاكراكي تعبتي، فكانت عايزة تطمن عليكي الأول".

وفي هذه اللحظة تدخل الممرضة، ومعها وجبة طعام سارة, فتتوقف سارة عن الكلام للحظات حتى انتهت الممرضة من وضع الطعام وغادرت الحجرة، فأكملت سارة كلامها: "خلاص هسامحك بس بشرط".

طارق: "اتفضلي قولي يا قلبي".

سارة: "تاكل معايا".

طارق: "بس ده أكلك وانتي تعبانة، لازم تتغذي علشان الجرح يلم".

سارة: "ملكش انت دعوة, لم انت نفسك، وكل معايا, وبعدين لو عايز الجرح يلم يبقى كُلْ معايا".

يقترب منها طارق أكثر ويقول: "اممم مااشى يا قلبي".

ثم يأخذ الوجبة ويفتح التربيزة الموصولة بالسرير ويضع عليها الوجبة, فيمسك طارق بقطعة الدجاج ويقول لها: "والله محدش هياخد الحتة دي غيرك يا حبيبتي"، ويضعها في فم سارة.

فتمسك هي الأخرى قطعة لحم ثانية، وتقول: الفرخة الحلوة دي رايحة على بؤ مين, لطارق حبيبي.

وظلا يتبادلان الطعام والضحكات، حتى انتهيا من الطعام، ويمر الوقت سريعًا دون الشعور به, وظلا يتحدثان لوقت طويل عن الحب والسعادة وأيامهم اللي جاية، حتى أتت والدة سارة, فسلم عليها طارق, وبعد دقائق من الحديث المشترك, طلبت سارة من طارق أن يذهب للبيت ليستريح.

فذهب طارق بعد إلحاح من سارة ووالدتها, ولكن قبل أن يصل إلى المنزل, اتصل به ناير، وبسرعة رد طارق: "الو يا ناير".

ناير: "ابتسام كلمتني، وأنا نازل دلوقتي آجيب منها المفتاح".

طارق: "دا بجد؟"

ناير: "آه, بس مش عارف بقى أكلم الراجل اللي وعدني إنه يفتح قطعة الحديد، واخليك تيجي انت دلوقتي وهو، ولا نخليها وقت تاني؟"

طارق: "هات المفتاح، وكلمه فورًا، وأنا جيلك دلوقتي، علشان مش قادر أصبر، بصراحة عندي فضول أعرف إيه اللي جواه".

ناير: "وأنا زيك جدا, بس عارفك تعبان ومنمتش امبارح".

طارق: "ولا يهمك، كله يهون علشانك يا صديقي".

ناير: "حبيبي، ربنا يخليك ليا, وخلاص إشطه أروح أنا بقى, علشان على ما تجيلي أكون نزلت جبت المفتاح, وكمان يكون الراجل وصل".

طارق: "طب في حاجة عايز أقولك عليها قبل ما تقفل".

ناير: "قول يا سيدي".

الفصل العاشر
سِرُّ الصُّندوق الخشبيّ

إنه الصندوق الخشبي الذى حمل لسنوات عديدة ذلك السر العجيب, ودفن في داخله قطعة الحديد هذه محافظًا عليها من غبار الزمن, وعلى الرغم من ذلك الصدأ الذي تسلل إلى بعض أماكن الحديد المكشوفة منها, لم يحدث لها أي تآكل أو تلف, بل زادها جمالًا, ولم يكن يعلم ناير منذ صغره لماذا يملك هذا الصندوق, وكيف حصل عليه, ولكن كل الذي كان يعلمه أنه الميراث الوحيد من أبيه وأمه، بدليل أن صورته كانت مطبوعة على خشب الصندوق من الأمام .

وكان السؤال الأزلي الذي طالما أحرق قلب ناير هو: "لماذا تركني أبي وأمى في هذا المكان ؟"

وكان يردد دائما كلما اختلى بنفسه عبارة: "أريد أن أكون مع أبي وأمي , أريد أن أشعر بحنية أبي وطيبته عليا!"

وكان أحيانا يسأل نفسه: "هل أمي كانت تحبني أم لا ؟ وإذا كانت تحبني, فهل الذي يحب أحدًا يتركه إلى الأبد ؟ أم كان رحيلها عنّي وتركها لي هو المحبة نفسها وأنا لم أكن أعلم ؟.. وهل سأظل أضيع ساعات ودقائق من عمري دون أن أمرح معهم أو يداعبني أحدهم ؟.. هل سأظل محرومًا من ابتسامة أمي حين أضحك في وجهها, أو حين أجري عليها لأسقط في حضنها كطائر وجد عشه بعد أن أضاعه فترة من الزمن".

أسئلة كثيرة كانت في رأس هذا الفتى الذي حرمته الأيام من أبسط الحقوق في هذه الحياة، وهي ابتسامة أمه وحضنها له والشعور بوجود السند، وهو أبوه, ومع ذلك ظل ذلك الصندوق يحمل السر، وظلت الأسئلة في عقل ناير لم تتركه أبدًا، بل كانت تزداد يومًا بعد يوم .

ولهذا كان يقضي في حجرته بالملجأ ساعات طوال، يقضيها في النظر إلى القطعة الحديدية الموجودة داخل الصندوق، وكان يحرك أصابعه على النقوش المحفورة عليها دون أن يفهم منها شيئًا، وعندما كبر ظل يبحث عن أي لغة قريبة من تلك اللغة المكتوبة على قطعة الحديد, ولكن لم يتوصل إلى شيء أبدًا، فبقي على تلك الحال شهورًا و سنوات يبحث لفترة, ثم يصيبه الإحباط لعدم وصوله إلى أي شيء، فيضع قطعة الحديد في دولابه، ويتركها أيامًا وأسابيع، ثم يعاود البحث من جديد..

وبقي هكذا حتى وجد من يساعده حتى لو على سبيل المصادفة، وهو الضيف الذي دخل إلى غرفته ورآه وهو يقوم بتكسير الأشياء, وهنا بدأ من جديد رحلة الوصول إلى المجهول..

وحُب معرفة المجهول غريزة تتملك الجميع، فالكل يتمنى لو يعرف ما يحمله المستقبل, أو يقرأ افكار من يجلسون أمامهم, وآخرون تشطح طموحاتهم، فيتمنون لو أنهم يغيرون ميعاد موتهم, أو نظام حياتهم, ولكن هذا لا يكون بالمجان، فمَنْ يريد أن يعرف ماذا سيحدث بعد الموت مثلا، دون الاستماع إلى الكتب السماوية، فعليه أن يموت أولًا, وعندها سيعرف ما خفي عنه، ولكن مقابل عمره كله..

وأيضًا مَنْ يريد أن يساعد الناس، عليه أن يضع نفسه مكانهم حتى يشعر بهم..

وهنا وفي تلك الرواية، دعونا نكسر القواعد بشيء من الخيال، لعلَّنا نصل إلى الحقيقة من حيث المنطق.

الفصل الحادي العشر
الضيف الغامض

"خلّي بالك من نفسك"

قالها "طارق" لـ "ناير" قبل أن ينهي مكالمته التليفونية فرد عليه الأخير مبتسمًا:

"مش لايق عليك المُحن يا ابني, اقفل يا عم، خلينا نشوف هنعمل إيه"

طارق: "ياعم أنا وصلت البيت أهو".

ناير: "بجد.. طب كويس، استنى أنزلك ونروح سوا نقابل ابتسام".

طارق: "هههههه، دا استغلال بقى، وهو الصاحب ليه عند صاحبه إيه غير توصيله وشوية حاجات فوق بعض".

ناير: "طب يلَّا، أنا نزلت خلاص".

وبعد دقائق قليلة تقابل ناير وطارق، وصعد ناير إلى سيارة طارق وتوجها إلى الكافيه الذي كانت ابتسام تنتظرهما فيه، ولمَّا وصلاه، أسرع ناير بالنزول من السيارة، وجرى إلى داخل الكافيه، وبسرعة كبيرة، راح يبحث بنظره عن ابتسام، ولمّا لمحها، توجه إليها بخُطًى سريعة أثارت اندهاش جميع رواد الكافيه .

وبعد السلام، وبلا مقدمات طلب ناير من ابتسام المفتاح، فأعطته له، دون أن تنطق بكلمة، فقط كانت متعجبة من اهتمام ناير الكبير بهذا المفتاح

القديم، ولكنها لم تسأله عن سر هذا المفتاح، خاصة وأنها لاحظت أنه على عجلة من أمره..

وبسعادة غامرة شكرها "ناير" وفعل نفس الأمر "طارق" فعرضت عليهما الجلوس وعزمتهما على كابتشينو، ولكنهما شكرا حسن كرمها، وعرض عليها ناير توصيلها هو وطارق إلى منزلها، ولكنها اعتذرت لأنها تنتظر صديقاتها ليقضوا بعض الوقت مع بعضهم ثم ودعاها وبسرعة عادا إلى السيارة، وانطلقا إلى حجرة طارق في الملجأ، وفي طريقهما رن هاتف ناير، فنظر إلى شاشة الهاتف ليجد اسم الضيف الذي زاره في حجرته بالملجأ وعرض عليه مساعدته في فتح قطعة الحديد التي كانت داخل الصندوق.

الضيف: "الو, أيوه يا ناير، أنا في الملجأ, انت فين؟"

ناير: "دقايق وأكون عندك".

الضيف: "تمام، مستنيك".

ناير: "تمام باي.. باي".

وبعد دقائق وصل طارق بسيارته ومعه ناير, ثم دخلا إلى الملجأ وصعدا السلالم متجهين إلى غرفة ناير، فوجدوا الضيف جالسًا على كرسي أمام الغرفة بانتظار ناير، فبادراهما: "مع أنك اتأخرت يا ناير، بس معلش".

ناير: "معلش، زحمة الطريق وكمان طارق على قده في السواقة".

طارق: "طب بلاش تسيّحلي كدا قدام الضيوف".

الضيف: "لا، عادي يا طارق يا ابني, انتو زي ولادي، بس المهم يلّا نشوف الحديدة اللي كانت في الصندوق فيها إيه، ولا خلاص رجعتوا في كلامكم ؟"

فقال ناير وهو يفتح باب غرفته: "رجعنا في كلامنا إزاي, دا أنا ماصدقت جبت المفتاح ؟"

وبمجرد دخول الحجرة أسرع "ناير" بفتح دولابه وحمل الصندوق بيديه ثم جلس على الكرسي الخاص به ووضع الصندوق على المنضدة التي أمامه, وطلب من الضيف وطارق أن يجلسا كي يبدأ العمل، ثم بعد ذلك فتح ناير الصندوق والتقط تلك القطعة التي طالما حيّره ذلك اللغز الموجود عليها، وبعد أن أخرجها، نظر إليها بتمعُّن للحظات، ثم أعطاها للضيف، وقال له: "خد بقى البتاعة دي وافتحها انت بما أنك عندك خبرة في الحاجات دي".

فأخذها الضيف مبتسمًا وقال طارق: "تفتكروا جوّاها إيه ؟"

فكر "ناير" فيما يمكن أن يكون داخل الصندوق، ولكن خياله لم يقف عند شيء محدد، فقط قال: "مش عارف بالظبط ممكن يكون جوّاها إيه، لكن حاسس إن جوّاها حاجة هتفرحني"

صمت الضيف للحظة، ثم قال: "عندك حق يا ناير هي هتفرحك بس ساعدني في فتحها".

ناير: "أساعدك إزاي ؟"

الضيف: "امسكلي انت بس الحديدة دي وأنا أدخل المفاتيح, واقرأ الجملة دي"

وقف طارق يراقب ما يحدث بتركيز رغم تعبه, وناير يمسك بقطعة الحديد، والضيف يمسك بالمفتاحين ليغرسهما في تلك الثقوب الموجودة في جوانب القطعة، وأخيرا غرسهما وقام بقراءة الجملة المحفورة، وبعد ذلك حرك المفتاحين.

"إيه ده!!"

قالها طارق من شدة الدهشة، ورد عليه "ناير": "دا إزاي اللي حصل ده".

أما الضيف فقال وهو يتصبب عرقًا : "إزاى متفتحش.. اسكتوا لو سمحتم شوية، عايز أركز".

وقام بلف المفتاحين بالجهة الأخرى، فلم يتحركا، وكرر المحاولة فحدثت نفس النتيجة, ثم حرك كل مفتاح باتجاه عكس الآخر، فلم يفلح وظل يحاول ولكن دون جدوى..

وبدون مقدمات ترك المفتاحين داخل القطعة الحديدية، وأراح ظهره مستلقيًا على الكرسي، ونظر إلى سقف الحجرة وكأنه يريد أن يتذكر شيئًا نسيه.

فقال طارق: "يا خسارة! جرينا.. بعد كل اللي عملناه، مفيش نتيجة.. أنا لو أعرف كدا كنت كملت نومي.

ناير: طب انت تعرف حوار الصندوق من قريب يا طارق، أومال أنا اللي معايا بقاله سنين, ونهار ما أعرف إنه ممكن يفتح ميفتحش".

وفي ذات اللحظة، هبّ الضيف واقفًا، وقال هاتفًا: "أنا إزاي فاتتني دي!!"

فرد ناير بدهشة: "هي إيه دي اللي فاتتك ؟!"

قفز الضيف بسرعة دون أن يرد على ناير، وأمسك بالقطعة الحديدية وألقى نظره على المفاتيح، وهنا صرخ من شدة الفرحة: "ناير".. "ناير ".. تعال يا "ناير" بُص هنا كدا"

الفصل الثاني عشر
الآنسة مريم

كانت الساعة تشير إلى تمام السادسة مساء، حينما كانت شابة صغيرة في سن العشرينيات من عمرها تتقدم بخجل وتردُّد إلى قاعة استقبال الضيوف في الملجأ, متجهة إلى سكرتيرة مديرة الملجأ، فلمّا التقتها قالت بصوت متقطع:

"مساء الخير، أنا اسمي مريم، وكنت جايه بخصوص الشغل اللي حضراتكم نزلتوا إعلان عنه في الجريدة".

سكرتيرة مديرة الملجأ: "آآآه.. مظبوط، إحنا كنا محتاجين آنسة فعلًا تساعدنا في الملجأ".

مريم: "دا شرف ليا لو ينفع أشتغل وأساعدكم".

السكرتيرة: "طب ممكن ترتاحي ثواني، أدخل أبلغ المديرة، وكمان لو معاكي c.v يكون أحسن".

بسرعة ردت مريم، وأخرجت من حقيبتها السيرة الذاتية الخاصة بها وأعطتها للسكرتيرة قائلة: "اتفضلي".

فردّت السكرتيرة: "اتفضلي اقعدي".

جلست مريم على أحد الكراسي الموجودة في قاعة الاستقبال, وظلت تتأمل كل شيء في المكان.

و"مريم" مثل الملاك بكل تفاصيلها.. عينان بنيتان شديدتا الجمال، وشعر أسود ناعم طويل لامع, وبشرة بيضاء، وأنف صغير يجلس تحته فم صغير ذو شفتان لونهما لون الرُّمان ..

ولكن تلك الجميلة مرت بوقت عصيب، ربما لا يتحمله كثير من شباب جيلها، خاصة بعد موت والدها، وهي في السنة الأولى من كليتها, فضاق بها حال معيشتها, وعجزت عن سداد إيجار سكن الطالبات الذي تقيم فيه, فظلت تبحث عن عمل يوفر لها المسكن والمال، لتعيش منه، وتحاول أن ترسل إلى والدتها مبلغًا حتى لو بسيطًا ليساعد على تربية أخواتها الصغيرات, وظلت تدعو ربها أن يتم قبولها للعمل في الملجأ، وبينما هي غارقة في الدعاء، أتت السكرتيرة إليها، وقالت: "اتفضلي يا مريم، المديرة في انتظارك".

قامت مريم من على الكرسي، وتوجهت إلى غرفة مديرة الملجأ التي استقبلتها بترحاب، وبصوت هامس قالت مريم: "مساء الخير يا افندم".

مديرة الملجأ: "مساء النور، اتفضلي اقعدي".

مريم: "شكرًا".

مديرة الملجأ: "إنتي لسه بتدرسي.. صح ؟"

مريم بتردُّد: "آه حضرتك، أنا في كلية آثار".

مديرة الملجأ: "طب إنتي عارفة إن احنا عايزين واحدة مخلصة جامعة ؟"

مريم: "بصراحه آه.. بس أنا عندي أمل في ربنا وفي حضرتك كبير، خصوصًا إني محتاجة للشغل أووي".

مديرة الملجأ: "طب بتعرفي تتعاملي مع الأطفال يا مريم؟"

مريم: "أنا كنت بادّي دروس في البلد عندنا، كمان كنت بتعامل مع إخواتي الصغيرين، فبعرف أشجعهم وأحمسهم على المذاكرة من غير عنف، كمان بيسمعوا كلامي من غير مجهود".

مديرة الملجأ: "تمام كويس، بس لازم تعرفي هنا مفيش ضرب ولا عنف، إحنا هنا بندور على طرق عقاب إيجابية، يعني مثلًا لو طفل شتم ممكن تعملي إيه؟"

بسرعة ترد مريم: "أخليه يكتبلي أنا آسف يا ميس، ومش هاعمل كدا تاني عشرين مرة، ويقولها وهو بيكتبها".

ابتسمت المديرة، وهي منبهرة برد فعلها وقالت: "بعد الإجابة دي لازم آديكي فرصة نشوف مجهودك معانا فيها، وآدي كشف الأسماء، دا علشان تحفظيها كويس وتعرفي سن كل واحد فيهم وإزاي تتعاملي معاهم، اتفضلي شوفي الأسماء، ومبروك يا أستاذة مريم".

لمعت عينا مريم من شدة الفرحة حتى كادت أن تدمع، وقالت: "دا بجد، يعني أنا كدا اشتغلت؟!"

مديرة الملجأ بابتسامة وقورة: "آه طبعا، دا شرف لينا يا بنتي، بس الأول لازم أقولك على شروط المكان".

مريم: "أكيد طبعا، اتفضلي حضرتك".

مديرة الملجأ: "هنا المكان قائم على الاحترام، والمكان دا كان هدفه مش إنه يساعد الأولاد في إيجاد مكان يناموا فيه وخلاص.. لا.. دا كان هدفه إنه يعلمهم ويحافظ على صحتهم ويطور في أسلوب كلامهم واحترامهم للناس، فأنا عايزاكي تساعدينا في إننا نحقق كل النقط دي، كمان هتلاقي عندك في الكشف أولاد من سن ست سنوات حتى أربع وعشرين سنة".

مريم: "أنا آسفة، بس اللي أعرفه عن أي نزيل ملجأ بعد سن العشرين, لازم يخرج منه، وبيساعدوه يلاقي شغل وسكن تاني، وفي بعض الملاجئ بتقبل لحد سن الإعدادية بس".

مديرة الملجأ: "إني عندك حق، واحنا فعلا بنعمل كدا، بس الوحيد اللي مينفعش يمشي هو ناير، هتلاقي اسمه في الكشف اللي معاكي, وهو برضو الوحيد اللي سنه كبير في الملجأ هنا".

مريم: "مش عايزة أضايق حضرتك بأسئلتي, بس ليه هو الوحيد اللي مينفعش يمشي ؟"

مديرة الملجأ: "دي كانت أوامر صاحب الملجأ قبل ما يموت".

مريم محاولة إظهار اقتناعها: "آه، علشان كدا".

مديرة الملجأ وقد تذكرت شيئًا ما: "آه صح، في حاجة مهمة عايز أقولهالك".

مريم: "اتفضلي حضرتك"

مديرة الملجأ: "المكان هنا مش بيقبل أي تبرعات أو شيكات, بس ممكن لو حد دخل بشوية لعب أو حلويات ممكن نقبل يدخل بيها بشرط إن الحاجات دي متكونش كتيرة، لازم تكون حسب الاحتياج اليومي فقط".

مريم: "تمام".

مديرة الملجأ: "ودلوقتي اتفضلي، السكرتيرة هتوصلك لأوضتك, ومن بكرة تروحي تجيبي شنطة هدومك وحاجتك، بس لازم تشوفي أوضتك وتنضفيها الأول وكدا، علشان مقفوله بقالها كتير".

مريم: "ميرسي أوي ليكي، مش عارفة أقولك إيه بصراحة".

مديرة الملجأ: "متقوليش حاجة يا بنتي، إنتي تستحقي, ودلوقتي اتفضلى بقى علشان تنضفي أوضتك، مش عايزين كسل من أولها".

بابتسامه ترد مريم: "حااضر".

خرجت مريم من غرفة المديرة، وأغلقت الباب خلفها برفق، ووجدت السكرتيرة بانتظارها، فقالت وهي تبتسم: "يلّا يا آنسة مريم، علشان نشوف أوضتك بقى"

وردت مريم بامتنان: "اتفضلي حضرتك".

دخلت السكرتيرة ممرًّا طويلًا داخل الملجأ, كي تقوم بتوصيل مريم إلى غرفتها, وبينما هي تسير، كانت مريم تركز نظرها في كل شيء حولها, فمرت على غرفة الألعاب، وبعدها المطبخ والمخازن والحمامات وغرف هدايا أعياد ميلاد الأطفال, وأخيرًا وصلا إلى نهاية الممر، حيث وجدت أمامها غرفة مغلقة،

ففتحت السكرتيرة الغرفة، وقالت: "دي أوضتك يا قمر, أسيبك بقى تنضفيها، ولو احتاجتي أي حاجة قوليلي".

وردت مريم: "شكرًا أووووي على تعبك معايا ياااا... "

"منى.. قوليلي منى"

قالتها سكرتيرة مديرة الملجأ، وهي تحاول أن تزيل الفواصل بينها وبين الموظفة الجديدة، وردت مريم: "شكرا أوي يا منى".

تركت "منى" "مريم" في الغرفة المغطاة محتوياتها بالأتربة، وعلى الفور بدأت مريم تزيل بعض القماش والسجاد من على الأرض, وفيما هي تفعل ذلك سمعت صوت الأطفال خلفها، فنظرت خلفها، فوجدت...

الفصل الثالث عشر
كَرامَةُ عَبِير

في نفس الكافيه الجامعي الذي التقى فيه "ناير" مع "عبير"، وأعلن لها فيه عن حبه، جلست عبير على منضدة في وسطه ومعها ابتسام وحسام وإسلام وياسين وإبرام وهبة..

ضحكت عبير وهي تتحدث إليهم قائلة: بصوا يا جماعة، في نفس المكان تقريبًا وأنا قاعدة مع سي الأستاذ ناير، الواد اللي أثبت فعلا أنه رومانسي بجد، جابلي تورتة وشغل فيديو كل الناس شافته في الكافيه وقالي إنه بيحبني وأنا مسكتش

يقاطعها ياسين: "طبعا قولتي: وأنا كمان بموت فيك، ما أنا عارفك أصلا بتحلمي بالحاجات دي".

عبير بتأفف: "آه بحلم بالحاجات دي، بس مش مع ناير أكيد, أنا هزأته وبهدلته، مسكتلوش وقولتله: أنا أتجوزك انت! دا أنا معرفش ليك أهل ولا بيت, وسبته ومشيت".

فيرد عليها إبرام: "وليه كدا يا هبله، إنتي حتى لو مش هتوافقي بلاش تجرحيه كدا , الواد طيب وجدع ومحدش شاف منه حاجة وحشة".

وأكملت ابتسام كلام إبرام: "ما هي الأستاذه بتاعتنا كده.. اللي يقدرها تبهدله واللي يتعبها تبوس إيده".

عبير بغضب: "قصدك إيه بالكلام ده يا ابتسام.. تقصدي إني أنا معنديش كرامة ؟"

ابتسام: "لا مقصدش كرامة، لكن مبتقدّريش النعمة اللي جتلك، وبصراحة اللي بيحب حد بجد مش بيحبه علشان إنه ابن عيلة، وابن ناس، ياما شباب كتير من عائلات وقليلة الأصل وأظن إنتي عارفة أنا بتكلم على مين".

تندفع عبير غاضبة: "لو سمحتي يا ابتسام، بلاش تتكلمي على محمود بالطريقة دي, حتى لو كنا سبنا بعض, أما بقى حكاية إنه ضحك عليّ ومنفذش وعوده معايا، بس ده ميمنعش إنه كان بيحبني في يوم من الأيام".

ردت ابتسام وكأنها تُكذِّب كل ما قالته عبير، وقالت: "يا سلاااااام".

تدخلت هبة في الحوار وقالت: "خلاص كفاية بقى، إحنا الناس كلها بصت علينا".

وردت ابتسام: "أنا ماشية.. أروح أطمن على سارة أحلى من القعدة الزبالة دي".

فردت عبير، وقد احمرّ وجهها من شدة غضبها: "قعدة زبالة، دا كله علشان اتكلمت على ناير وحش, طب بقولك بقى: ما دام متضايقة أووي كدا عليه، ما تحبيه إنتي أحسن، دا حتى قريب منك أووي, وأهو على الأقل، انتوا الاتنين شبه بعض وظروف واحدة".

بهدوء مصطنع ردت ابتسام: "مش هرد عليكى وأنزل لمستواكي, أنا ماشية".

تغادر ابتسام المكان تاركة ياسين وهبة وحسام يؤنبون عبير على كلامها غير اللائق لابتسام.

ذهبت ابتسام تاركة ذلك وراءها ودموعها على خديها تتذكر ما مضى من أوجاع حدثت لها, فأبوها مات، وأمها تزوجت برجل غني، وسافرت معه إلى الخارج، و كل ما تفعله لابنتها، هو إرسال المال لها، مع حديث هاتفي مرة كل أسبوع أو أسبوعين.

ليالٍ طويلة قضتها ابتسام، وهي تبكي فراق أبيها الذى كان سيمنحها الحنان الذي تريده, وبعد أن يتعبها البكاء، كانت تقول"خلاص اللي حصل حصل .. والبكاء لن يغير من الواقع شيئًا"

تذكرت ابتسام كل ذلك وهي تستقل التاكسي للوصول للمستشفي الذي تعالج فيه سارة، وعندما وصلت إلى المستشفى, سمعت صوتا ينادي عليها

نظرت خلفها فوجدت غادة، فقالت لها: "إيه يا ابنتي، فين سارة؟"

غادة: "سارة نازلة دلوقتي وهروحها، خلاص الدكتور قال إنها تمااام , وخلّصنا التصريح بتاع الخروج، وهتبقى المتابعة في البيت وكدا".

ابتسام: "طب كويس الحمد لله، وطارق فين دلوقتي، موجود معاكم ولا؟"

غادة: "برن عليه مش بيرد، بس سارة قالت إنه نايم, ولمّا رنيت تاني لقيته غير متاح، فقلت يبقى موبايله فصل علشان كان معانا طول النهار".

وقطعت غادة حديثها عن طارق، وقالت: "أهي سارة جاية".

فقالت ابتسام بفرحة: "ألف سلامة عليكي يا قمر, إيه ده، إحنا خفينا أهو وبقينا زي الفل".

سارة: "الحمد لله، شكرا على تعبك يا حبيبتي".

ابتسام: "لا متقوليش كدا، إنتي أختي وحبيبتي كمان".

وفيما هم يتبادلون الحوار أثناء خروجهم من المستشفى، وقفت سيارة جيب سوداء فخمة ثم نزل منها رجل في بداية الخمسينيات من العمر، يلبس بدلة سوداء أنيقة، وفي يده اليمنى خاتم ذهبي كبير.

وبعد أن نزل من سيارته، وضع نظارته الشمسية على وجهه الأبيض المائل إلى الأحمر، ثم نظر نحو باب الخروج ليجد سارة وهي خارجة من المستشفى، فتوجه نحوها، ثم قال: "ألف سلامه عليكي يا قلب بابا, جتلك مخصوص علشان عارفك زعلانة إني مجتش المستشفى امبارح، بس أنا كنت بطمن عليكي من ماما علشان إنتي عارفة الشغل وظروفه".

تنظر إليه سارة بحزن، ثم تقول: "متقلقش يا بابا، مش متعودة إنك تفضلني أنا على شغلك, دايمًا شغلك مهم، لكن أنا دايما في الخانة الأخيرة من حياتك، بس عادي, ماما قدرت تعوضني عن حضرتك يا بابا, قدرت تكون ليا الأب والأم والأخت".

لم يعلق الأب على كلام ابنته، وأنقذه ظهور الأم المفاجئ بعد إنهائها بعض الأوراق الخاصة بخروج سارة من المستشفى، وبمجرد أن خرجت من باب المستشفى، راحت تنادي على سارة، وقبل أن تصل إليها قالت: إيه يا حبيبتي،

إنتي عايزه تمشي وتسبيني كده، وفوجئت الأم بوجود زوجها والد سارة، فنظرت إليه وقالت بابتسامة مصطنعة باهتة: "محسن ؟ أهلا، ثم وجهت حديثها لابنتها وقالت بود: يلّا يا حبيبتي بقى علشان التاكسي مستنينا من بدري".

محسن: "إنتي بتقولي إيه؟ تاكسي إيه وبتاع إيه؟!.. أنا جي علشان أوصلكم البيت بنفسي".

والدة سارة: "ما انت عارف يا محسن، إن عربيتك لو ركبتها بتخليني أرجع.. يلا يا بنتي، ثم ذهبا، وتركا الأب متسمّرًا مكانه، مندهشًا من تصرفات زوجته وابنته".

وركبت سارة التاكسي هي ووالدتها ومعهما غادة، أما ابتسام، فودّعت سارة، قائلة: "مع السلامة يا حبيبتي، أبقى آجيلك أنا هاااا".

سارة: "تنوري يا قلبي، باااي".

ابتسام: "باااي".

غاب التاكسي بعيدًا وسط زحام الشارع، وبعد لحظات قليلة تلقت ابتسام مكالمة هاتفية، فسحبت الهاتف من الحقيبة السوداء التي تحملها ونظرت إلى المتصل فوجدت رقمًا غريبًا, فرفضت المكالمة، ولكن عاود الاتصال عليها مرة أخرى، فردت عليه: الووو .. مين ؟

الفصل الرابع عشر
السَّرابُ

الحقيقة وحدها هي التي تجعلنا نصطدم بالحائط المسدود، ونظل طوال العمر باحثين عن ذاتنا في تلك الحقيقة.. مَنْ مِنَّا لم يسأل نفسه لماذا لم يحالفه الحظ في حبيبة تقف بجانبه.. حبيبة كاملة الأوصاف، جمالها لا يوصف ولا يقارن، ابتسامتها تنشر البهجة، وتتفتح الزهور من رائحتها العطرة..

مَنْ مِنا لا يريد وظيفة ذات شأن وسيارة فخمة وبيتًا جميلًا له جنينة كبيرة وبساتين غَنّاء..

الحق أقول لك أيها القارئ العزيز، أنه لا يوجد إنسان بدون طموح أو هدف، ولكن المجتمع العقيم هو الذي يكبل الطموح ويمحو أهدافنا، فنوفر سعينا نحو السراب المبهم، ونفقد قوانا، فلا نستطيع تكسير تلك القيود ونخطو خطوة نحو الفشل الموعود لنا.

وبالرغم من طغيان الإحباط على آمالنا في هذا الزمن، ولكن سيظل طابع التطفل هو صاحب الفضل في دفع الإنسان نحو المجهول أو الوصول إلى حقيقة شيء ما..

* * *

والآن دعونا نعود من جديد لحكاية "ناير" الشاب الطموح الذي لا يملك بيتًا أو أموالًا، لم ير والديه، أو قد رآهم وهو في سن صغيرة لا يعي شيئًا، عاش في

الملجأ طفولته الأولى، وعاش شرخ شبابه حياة مرسومة له بالقلم والمسطرة، ساعات النوم محدودة، ومواعيد الطعام ثابتة ومقدسة، والمذاكرة بمواعيد، لا هروب منها.

عاش في ظل ذلك الانضباط طوال عمره، وظل يكبر يومًا بعد يوم، وظلت الأسئلة تزداد في رأسه دون الوصول إلى إجابات مريحة أو مقنعة، والإجابة الوحيدة التي كان يتلقاها عن كل أسئلته كانت عبارة عن أمر من المُربية بأن يخلد إلى النوم أو يذهب ليأكل، أو ينهي واجباته المدرسية.

وفي الغالب كان يذهب إلى غرفته ويخرج الصندوق الذي كان معه منذ صغره، ولا يعرف مَن أعطاه إياه أو من أين أتاه؟ أو لماذا يملكه كل هذا الوقت؟.. ولم يخفف عنه أحد سوى مشرف الملجأ، وهو الوحيد الذي كان يتحدث معه طويلًا ويشرح له كم كان أبوه يحبه، وكم كانت أمه تسهر على راحته طوال الليل، ولكنهما ذهبا إلى السماء وتركاه في مكان آمن، إنه الملجأ.. هكذا كان يقول مشرف الملجأ دائمًا لناير.

والغريب أن ناير أحَبّ الملجأ واعتبره من ذكرى أبويه حتى كبر، وظلت تلازمه حالة تطفل لفتح تلك القطعة الحديدية الموجودة داخل الصندوق الغامض والتي كانت مُطعَّمة بقطع زجاجية زرقاء اللون، حجمها في حجم شاشة الهاتف المحمول الصغير ومذهبة من الجوانب، ومتشابكة بمادة الفضة التي تملؤها على القطعة ويتجمد فوقها لون مشبع الصدأ في بعض الأماكن الحديدية المكشوفة.

وفي كل يوم كان ناير يبحث عن سر حياته، فلا يصل إليه، وكان يقرأ ولا يفهم.. حاول الاطلاع على معظم لغات العالم ولم يكتشف مكنون تلك اللغة المكتوبة على الصندوق، فزاد تطفله وجنّ جنونه، وأكد بإحساسه أن سر حياته المجهول سيكشفه ذلك الصندوق، وكان حديثه كل ليلة مع ذلك الصندوق اللغز، الذي صار كأنه صديقه وكاتم أسراره.

وكان ناير يحكي كل ما بداخله لذلك الصندوق، فيشعر براحة نفسية غريبة، وكانت راحته النفسية الأكبر عندما يغلق غرفته مع صندوقه ويبتسم له وهو موضوع بين راحة يديه، لعلّه يعطف على تلك الابتسامة ويبوح له بأسراره، ولكن الصندوق كان لا يستجيب، فيغضب عليه ويضغط على قطعه الحديدية بكلتا يديه، ولكنها لا تفتح، وفي كل مرة كان يخاف أن يكسرها فيدمر ما بداخلها، الذي اعتقد أنه يحمل سر أسراره.

* * *

كثير منا لم يمر بحالة ناير، ولو مرة خلال أيامه في الدنيا..

كثير منا انتابه الشعور والإحساس بالألم لما يجده في الآخرين القادمين إلى ملجأ، كل يريد زيادة حسناته في الجنة بالعطف على أطفال في سن أولادهم أو إعطائهم بعض الملابس التي ضاقت على أبنائه، فصاروا لا يحتاجون إليها..

كثير منا يعطون من فضلتهم وليس من أعوازهم، وفي النهاية ينتظرون المقابل في حياة أخرى، والبعض يرى أن الوصول للجنة سيكون عن طريق تلك الأطفال الصغار.. الكل يعطي بمقابل التبديل من المادي إلى المعنوي .

وهناك من يعطي للعطف عليهم، ولكن القليل منهم من يريدون رسم البهجة والفرحة على وجوههم دون انتظار لمقابل عملهم هذا..

ولكن لا أحد يقوى على أن يقوم بتبديل المشهد، فيتحول هو ليتيم واليتيم يتحول لإنسان له عائلة وكيان في المجتمع، وأتحدي أي شخص أن يتحمل تلك الفكرة عليه، ولو ليوم واحد من العطف والشفقة والحرمان الموجود يوميًا والاحتياج إلى الحضن والحنان الذي لا يعرف مكانًا بين تلك الطبقة المسكينة .

هو جوع ليس له شبع.. عطش ولا يوجد مَن يرويه.. احتياج ولا يوجد من يسده.

والآن دعوا الشاب "نايل" يكشف الحقيقة، سر قصته، رغم أنها قد تكون بالنسبة للكثيرين شيئًا عاديًا؛ لأنهم لم يمروا بها قط.

الفصل الخامس عشر
أشْواكُ الحِرْمَان

صمتٌ يلف حجرة ناير رغم أن بها ٣ أشخاص: ناير وصديقة طارق والضيف المتخصص في فك الشفرات، وبعد طول صمت تحدث ناير كأنه يناجي نفسه:

"هو أنا إزاي كنت بالغباء ده أكتر من خمستاشر سنة، بجري ورا سراب، كل يوم بتوقع هو ممكن يكون في إيه في الصندوق ده.. كل ثانية عدت عليّا وهو قدام عيني باكلّمه مبيردش، بس حالة الانجذاب العجيبة اللي كانت بيني وبينه كانت بترجعني أتأمل في تفاصيله من جديد، وأحس أنه هيكون السبب الوحيد في حل كل أسئلتي وألغازي اللي مش بتخلص، ودلوقتي الأمل والطموح في الاكتشاف اتحوّل لسراب وصمت تام، بس تصدقوا أنا مش زعلان، بالرغم من كل ده كفاية إننا دلوقتي تلاتة متجمعين لمعرفة حاجة واحدة.. طارق صديقي اللي تعب علشاني كتير، وعالم فك شفرات كبير زيك يستحق إني أشكره على المجهود اللي عملته، مع أن النهاية فشنك، بس كفاية إنك حاولت تساعدني، وأنا كمان بقيت زي الطلقة اللي اتضربت ميت مرة وظرفها لسه مخرجش ولا أثرت في حد، مع أن كله بيضرب فيها، وهي لسه رافضة تخرج مقذوفها على رأس أحدهم، وحتى الألم اللي جوايا فقدت القدرة إني أعالجه أو أبوح بيه لأقرب الناس لي.

علشان كده الكل شايفني بضحك ومقضي وقتي بالطول والعرض بعمل حركات مجنونة ممكن، بس علشان أتبسط وأبسط اللي حواليا بزرع زهور وبساتين لفرحة الناس، وأنا الكل زارع فيا شوك بأنواعه المختلفة.. شوك العطف عليا

اللي اتكرر طول العشرين سنة اللي فاتت، وشوك الحرمان من حضن أم هموت وأدخل جواه لو ثانية واحدة تضمني وأحس بلمسة إيديها على رأسي وتطمني ببسمتها ونظرة عنيها أو حتى أدوق الإحساس بأن لي سند في الدنيا أفضل أكلمه ميزهقش منّي، يلعب معايا في طفولتي بدل من وجود ناس معرفهاش بتفرض نفسها عليا، على سبيل أنها بتعمل حاجة جديدة، بخلاف الروتين اللي قتلهم طول الأسبوع.

تعرفوا؟ أنا عمري ما قلت كلمة بابا.. عمري ما شوفته وهو داخل عليا بالبسكلتة اللي كان نفسي يجبهالي.

عمري ما قلت ماما وطلبت منها تعملي الأكل اللي بحبه، أي نعم مجبور هقابل الواقع بأني يتيم محروم من حنان.. بعض الناس بتشوفه موضوع تافه وشايفه إن فكرة وجود الأب أو الأم يقابلها ضرب وإهانة علشان المذاكرة، أو عدم الخروج بالليل، أو حاجات تانية بيكتفونا بيها.

لكن أنا أتمنى كل اللي عنده أب أو أم يبوس إيديهم كل يوم، يكفي وجودهم سند في حياتك وونس ليك، لمّا تدخل البيت تلاقيهم قدامك، مش أنا اللي بادخل ملقيش غير سريري وصندوق مبهم المعرفة، وأسراره مش عارف أكتشفها".

هكذا تحدث ناير دون أن يقاطعه أحد، وبعد أن انتهى من كلامه والدموع تتساقط من عينيه وضع يده خلف رأسه ونظر إلى السقف سارحًا في عالم آخر بعيد جدا، ويسود المكان صمت طويل إلى أن كسر طارق ذلك الصمت بكلامه أيضا ويقول وكأنه يعزي صديقه ويعزي نفسه أيضا:

"فلوسي معملتليش حاجة في حياتي غير إنها حرمتني من الناس اللي حبتهم واتعلقت بيهم، وما زلت شايل ذنبهم ومشترك في موتهم مقابل فلوس خدت لعنة بسببها ولسه لم يحالفني الحظ في طريقة تخلصني منها، رغم أني كملت ٢٠ سنة وعديتها بكتير، ولسه معرفش طريق المشعوذ اللي كان سبب اللعنة اللي أصابتني.. كنت أتمنى أشوفه وأقابله وأديله لعنته علشان أبدأ أحس بحلاوة الدنيا بقى وأتجوز البنت اللي حبتها بدون قلق أو خوف.. صدقوني من ضمن أصعب الحاجات اللي في الدنيا اللي ممكن الشخص يمر بيها هي إنك تحب وبعدها تكره غصب عنك.

بغض النظر بقى إذا كنت بتحب زوجة أو حبيبة أو حد قريب ليك أوي، فتخاف بعد ما تعلق كل حياتك ومشاعرك بيه تقرر اللعنة اللي جواك موته، وتحرمك منه للأبد، كل ده بسبب إنك حبيته.

فعلًا، سلاح قتل حديث الصنع، وفكره قاتل عبقري، مستحيل حد يمسك عليه غلطة ولا مباحث كل دول العالم، ولا حتى الطب الشرعي في العالم كله يقدر يعرف مين اللي قتل أو سبب الموت، أكيد بيخونهم الإحساس بأني بحبهم جدا، وأكيد مقدرش أعمل كده، وأهو جه اليوم اللي خلاني أشوف الحب بيموّت أعز الناس عندي.

تعرفوا؟ أنا أتمنى لو حد ياخد كل الفلوس اللي معايا ويشيل اللعنة اللي جوايا دي، أكيد إحساسي بالأمان ورجوعي لطبيعتي زي أي حد في الدنيا يقدر يتعامل مع الناس، يحب يتجوز بدون ما يخاف، ده عندي أفضل من كل فلوس الدنيا كلها".

يتوقف طارق عن الكلام، فيعود الصمت إلى الحجرة، ويظل الضيف يراقب كلامهما ويكتم الدموع التي لمعت في عينيه، فينظر إلى ناير وهو يشعر بحمل الجبال الذي يحمله على عاتقه، ولا يعرف كيف يخفف عنه حتى لو جزءًا بسيطًا منها، خاصة وأن كل ما يمكن أن يقدمه له، مجرد كلام في كلام، لا يجدي نفعًا إطلاقا، بل بالعكس تضيف أحيانا أثقالًا أخرى إلى الأحمال الثقيلة التي يحملها الموجوع بآلامه..

ووسط كل هذا الألم والمرارة واليأس الذي يلف المكان، نظر الضيف خبير الشفرات إلى ناير، ثم نظر إلى طارق، وقال:

"على ما أعتقد كده إنتوا خلصتوا كلام، وأكيد ارتاحتوا من الهموم اللي جواكم ولو شوية، بس مش دي النهاية اللي احنا كنا عايزينها، علشان كده أنا بعد ما سكت وكنت عايز أعرف رد فعلكم اللي هو وجعني أوي ومقدرتش أستحمل، فأحب أقولكم إن خلاص الصندوق ثواني وهيتفتح".

وفجأة ينهض ناير وطارق، ويتحدث طارق إلى الضيف ويقول: "ده إزاي ده! إنت مش عملت كل حاجة وبرضو مفتحش، يبقى إزاي تقدر تفتحه!"

الضيف: "أنا فعلًا عملت كل حاجة إلا حاجة واحدة بس مكنتش واخد بالي منها".

ناير: "هي إيه دي؟!"

الضيف: "إنت يا ناير اللي مكنتش واخد بالي منك".

طارق باستغراب: "إنت أكيد بتهزر! يعني إيه الكلام ده بقى، يعني ناير هو الوحيد اللي يقدر يفتح الصندوق؟"

ناير بيأس: "يووووه، بعد الوقت ده كله بتقول إن أنا اللي هفتحه، ما هو لو أنا كنت اتزفّت فتحته من غير ما اخليك تساعدني".

الضيف: "اسمعني بس".

ناير: "اتفضل، عايز تقول إيه؟"

الضيف: "أنا لمَّا مسكت المفاتيح لقيت عليها حاجة كده تشبه البصمة فقولت في دماغي إنه ممكن يكون مجرد شكل صممه الصانع كنوع من الحيلة، لكن بعد ما حاولت ومفتحش عرفت أنها بصمة وأنه مؤكد تكون بصمتك، أكيد والدك مكنش عايز حد غيرك يفتحه علشان كده عمل الطريقة دي، فيحفظ اللي جواه ويكون ليك انت وبس".

طارق بتعجب: "طب واحنا مستنيين إيه؟! يلّا يا ناير اعمل اللي هيقولك عليه بسرعة".

وكأن روح ناير عادت إليه من جديد، وقال بحماس: "وأنا أكيد معنديش مانع في كده".

فيمد يده ليمسك المفاتيح، فيمنعه الضيف ويقول: "مينفعش تمسك المفاتيح غير لمَّا تغسل إيدك كويس".

يضحك طارق وناير.. ويقول ناير: "ليه يا عم، هو أنا هاكُل!"

الضيف: "مش بهزر، على فكرة لازم تكون إيدك نضيفة، علشان بصمتك تبان، ولا عايز تقابلنا مشكلة تانية".

ناير: "لا، وعلى إيه، أروح أغسل إيدي لما نشوف آخرتها".

يخرج ناير من الغرفة، ثم ينزل إلى الطابق الأول، وفيما هو نازل بسرعة، يصطدم بمريم الموظفة الجديدة فيعتذر لها وهو ينظر إلى عيونها، فتبادله الابتسامة، قائلة له: "أنت ناير.. صح؟"

ناير: "آه أنا.. أنا.. أنا.. ناير".

مريم: "إيه، ما لك اتوترت ليه؟ أنا بسأل عادي".

ناير: "هو انتي مين بقى؟"

مريم: "أنا اسمي مريم، الموظفة الجديدة هنا، وطالبة في كلية آثار، جامعه القاهرة".

ناير: "إستني إستني، أنا كمان كلية آثار، إزاي مشوفتكيش؟"

مريم: "ماهو أنا مش بحضر غير المحاضرات المهمة، وبمشي على طول".

ناير بنوع من الغزل: "باين السنة دي هتبقى سنة جميلة على الملجأ كله، وعليا أنا شخصيًا".

تحمرّ خدود مريم، فتخرج من كسوفها بتغير الحديث: "هو انت كنت نازل بسرعة ليه؟"

نایر: "عادي، كنت نازل أغسل إيدي".

مريم: "بس هو اللي يغسل إيده ينزل بسرعة كده، دا انت كنت هتوقعني".

نایر: "أنا آسف بجد، بس المهم أنا أخلّص الحاجة اللي بعملها وأنزل هعرفك على كل حاجة في الملجأ هنا، علشان أكيد لسه متعرفيش حاجة".

تبتسم مريم وتقول: "وأنا في انتظارك".

يذهب نایر إلى دورة المياه ليغسل يديه، وبعد أن انتهى يخرج وهو يتذكر وجه تلك الحسناء، ويتحدث مع نفسه: "هو في جمال كده، أنا مشوفتش الجمال ده قبل كده، دا أنا كنت هلبس في حيطة لو عبير وافقت على حبي ليها، مكنتش هاعرف أغمض عيني على الجمال ده بصراحة".

وفيما هو يحدث نفسه يصل إلى غرفته فيدخل ثم يجلس على الكرسي الذي اعتاد أن يجلس عليه، وهو ما زال في شرود، وترتسم على وجهه ابتسامة عريضة، وينظر طارق إليه، ويظل ينادي عليه: "يا نایر.. يا ابني انت"

وأخيرًا يستفيق نایر من غفلته الجميلة ويرد: "إيه يا طارق بس؟"

طارق: "إيه يا ابني، ما لك؟ إنت روحت تغسل إيدك، ففسلت حاجة تانية ولا إيه، قولي دا صاحبك متتكسفش منّي يعني".

فيضحك الضيف على كلام طارق، وينظر نایر إلى طارق ويقول: "خلاص يا سيدي، معاك أهو، ويلّا بقى نشوف الخطوة اللي بعد كده".

يأخذ الضيف نفَسًا عميقًا، وبعد صمت يردد الكلمات الغريبة المكتوبة على قطعة الحديد، وبعد أن انتهى من القراءة يمسك بيد ناير، ويقول: "إنت جاهز إننا نخوض التجربة دي؟"

فيرد ناير: آآآه، جاهز جدًا، وبفارغ الصبر كمان".

فيطلب من ناير أن يمسك بالمفاتيح، ويقوم بتحريكها، وفيما هو يحركها يطلب من ناير أن يقول معه بعض الكلمات الموجودة على القطعة، وترجمتها هي (**افتحي يا أبواب الكرمة؛ لأن الحقيقة قد حان الوقت لاكتشافها، وقد آن الأوان على زوال اللعنات**)..

فقال ناير هذه الجملة، ثم حرَّك المفاتيح باتجاه اليمين دفعة واحدة، فسمعوا صوت أزيز كصوت باب لم يُفتح منذ آلاف السنين، وانقسمت القطعة إلى أربعة جوانب، ويشع النور من داخلها كمدينة اللآلئ المنيرة، وتمتلئ الغرفة من ذلك النور الأبيض، فأغمضوا أعينهم من شدة الإضاءة حتى بدأ النور يهبط رويدًا رويدًا، فقاموا بفتح أعينهم بحذر تام، وأخيرًا السر المبهم قد انكشف.

* * *

الفصل السادس عشر
السِّرُّ الكَبِيرُ!

لفافات قديمة وزجاجة تشبه نوع برفيوم فاخر، هذا هو كل ما وجدوه داخل القطعة الحديدية بعد فتحها، فقام الضيف بفتح تلك اللفافات، وبدأ يقرأ، وفيما هو يقرأ يمسك ناير الزجاجة، وينظر إليها من كل جوانبها المطعَّمة بالفضة والذهب الخالص المتشابكين ببعضهما، تاركة بعض الثغرات ليظهر منها الزجاج الشفاف ليرى ذلك السائل الأزرق الموجود بداخل الزجاجة، ثم يعطيها لطارق ليطلع عليها عن كثب، فيندهش من جمالها ويقول لناير: "بس أنا برضو مستغرب، كل اللي احنا عملناه ده، علشان شوية ريحة، أكيد في حاجة غلط!"

فيرد الضيف عليه: "فعلًا، في حاجة غلط".

ناير: "طب إيه هي؟ ما تفهمنا طيب بدل ما احنا مش عارفين حاجة".

الضيف: "كده، بصوا الإزازة دي فيها مادة هي اللي هتفتح أبواب الكرمة قدامكم، وهناك هتلاقوا اللي انتوا عايزينو".

ناير: "بجد أنا مش مصدق اللي انت بتقوله، أكيد انت بتهزر!"

الضيف: "صدقني دي الحقيقة، وكل تفاسير البرقيات اللي موجودة معايا بتقول كده، وكلامها دقيق مفيهوش شك وواضح جدا باللغة اللاتينية المعروفة".

بفرحة كبيرة يقول ناير: "أنا مش مصدق نفسي، أخيرًا هافكّ السر اللي جوايا بقاله سنين.. طب مستني إيه.. إحنا مستعدين نعمل اللي انت عايزه".

بكل هدوء يرد الضيف: "مش بالسرعة دي، لازم نستنى ٤٨ ساعة، علشان نقدر نعمل الخطوة اللي هتخلينا نفتح أبواب الكرمة".

نایر: "يووه بقى، طب وليه منفتحهاش دلوقتي؟"

الضيف: "علشان لازم المادة تتنفس هواء العالم اللي احنا فيه، علشان تقدر تفتحلنا أبواب عالم الكرمة اللي جت منه، فلازم تكمل ٤٨ ساعة في العالم بتاعنا الأول، وأول ما تبدأ تموت، هتفتح أبواب الكرمة، علشان تنقذ نفسها".

طارق: "إيه اللي انت بتقوله ده، هو انت تقصد إن العالم بتاعها أحسن من العالم بتاعنا؟"

الضيف: "أكيد، لأن العالم بتاعهم "بيور" ونقي جدًا، عكس عالمنا المليان بالأتربة والفيروسات، علشان كده بيبدأ يحصل بعد ٤٨ ساعة تشنجات في المادة، فبتفتح لنفسها أبواب الكرمة، علشان ترجع لعالمها تاني وفي اللحظة دي انتوا هتدخلوا معاها بس بروحكم فقط لكن جسدكم هيفضل موجود مكانه".

طارق: "نعم، جسدنا مكانه وروحنا هتنفصل، دا إحنا كده هنموت بجد".

الضيف: "لا خالص، وبعدين سبب الانفصال هيبقى حاجة زي الحلم ليها وقت معين، وفي خلال الوقت ده هتكشف نفسك وحقيقتك اللي عايز تعرفها من زمن، لكن جسدك هيفضل في الوقت ده مرتبط بروحك عادي، بس مينفعش يتحرك زيها ويدخل معاكم أبواب الكرمة؛ لأن المكان هناك "بيور" أوي زي ما قولتلكم.. بس كل اللي عليكم في الرحلة أنكم تخلصوا اللي انتوا عايزينه بسرعه

قبل ما الوقت يخلص عليكم، لأن أول ما الوقت يخلص هترجعوا تاني حالتكم الطبيعي وساعتها يا إما تكونوا كسبتوا التجربه بأن طارق يفك لعنته هناك، وأن ناير يعرف الحاجة اللي اختفت عنه طول السنين دي كلها".

صمت ناير وطارق من شدة الذهول وكأنهما يحلمان لا يصدقان، وانتابتهما حالة خوف مما قد يحدث لهما خلال تلك التجربة، ولكن طموح طارق في التخلص من لعنته وتطفل ناير في معرفة ما قد جهله في حياته جعلهما أخيرًا يقرران الدخول، والآن سيبدأ العد التنازلي في ٤٨ ساعة، وبعدها ستُفتح أبواب الكرمة لهم.

وقال ناير: "تمام، إحنا موافقين، بس دلوقتي أخلّي طارق يروح يرتاح شوية، وانت كمان يا دكتور تعبت معانا كتير، بس أستناك بعد ٤٨ ساعة، علشان نبدأ مغامرة مع بعض".

الضيف: "دا أكيد، أستأذن أنا بقى، وعلى ميعادنا بعد ٤٨ ساعة في نفس الوقت".

غادر الضيف وبعده طارق وبقي ناير في غرفته يتأمل كلام الضيف ويسرح بخياله على تلك الأبواب التي ستفتح عالمًا لا يعرفه قط، وظل دقائق يفكر ويفكر حتى تذكر الموظفة الجديدة التي كان قد وعدها بأن يخبرها بتفاصيل ونظام الملجأ والأطفال الموجودين به.

وبدون تفكير ترك كل شيء ونزل إلى بهو الملجأ، ولكن قبل أن ينزل للطابق الأول غطى الصندوق حتى لا يراه أحد، وفيما هو نازل درجات السلم سمع صوت الأطفال يلعبون في ممر غرف الملجأ ..

ورأى تلك الجميلة تلعب مع الأطفال وتضحك كأن الشمس قد أشرقت من فرحتها.. إنها مريم التي أصابت ناير بفولت عالٍ في مشاعره كأنه قد أخذ صاعقة كهرباء، فأصلحت ما فسده الزمن، وظل الشاب يراقب مريم والأطفال وهم يلقون الكرة من يد إلى أخرى حتى طارت الكرة في اتجاه ناير فاصطدمت به، وعندها فقط رأته مريم، فقالت وابتسامة جميلة قد زينت وجهها رائع الحسن:

"أنا آسفه جدا بس الأولاد كانوا عايزين يلعبوا".

ناير: "لا، عادي ولا يهمك، المهم عجبك المكان والأولاد الموجودين ولا لسه مرتحتيش ومخدتيش على الجو هنا ؟"

مريم: "لا، بالعكس دا أنا حتى أول ما دخلت الأوضة بتاعتي لقيت الأولاد ورايا، وأول ما بصيت علشان أشوف إيه اللي ورايا لقيت الأولاد العسل دول بيقولولي: إنتي الميس الجديدة، قولتلهم: آه، المهم عرضوا عليا يساعدوني في تنضيف الأوضة، فرفضت، فزعلوا، فصالحتهم وخلّيتهم يساعدوني، وبعد كدا دخلّتهم يناموا، وبعد ما صحيوا صحوني علشان ألعب معاهم وادايني يا سيدي خبطّك بالكرة"

ثم تضحك، فيضحك ناير ويقول: "شكلي هتعوّد إنك تخبطيني كدا كتير".

تبتسم وتغيّر الموضوع كعادتها وتقول: "طب إيه يا ناير، مش هتعرفني على المكان زي ما قلت والولاد!"

نایر: "آه طبعًا، بس حابب أعرفك على الولاد، لأنهم أهم من المكان أصلًا، وكمان المكان هنا بسيط جدا مش معقد، هتعرفيه لوحدك، كل أوضة مكتوب عليها الدور اللي بتقوم بيه سواء مخازن أو مطبخ أو ألعاب.. وهكذا".

مريم: "تمام، وعلى فكرة، الولاد فعلًا كويسين معايا، بس أنا عايزة أعرف حكايتهم وإزاى دخلوا الملجأ؛ علشان أقدر أعرف شخصية كل واحد فيهم، وأطوّر فيها وأعالجها، لو في مشكلة نفسية عنده".

نایر: "كل ده كويس أوي ممكن، بس نخرج إلى الجنينة إحنا والولاد وبعد كده أقولك على كل حاجة، وهمّا بيلعبوا علشان محدش فيهم ياخد باله من حاجة".

وعلى الفور قامت مريم بتجميع الأطفال لتأخذهم إلى جنينة الألعاب، وهم في طريقهم مرّوا على صالة الاستقبال وخرجوا من بوابة الخروج المؤدية إلى الجنينة، حيث المساحة الواسعة والشمس الساطعة والألعاب الكثيرة، فطلب نایر من الأطفال أن يذهبوا للعب، ووعدهم بأن يلعب معهم بعد فترة قصيرة، فذهب الأطفال سعداء باللعب في الأماكن الخضراء الواسعة.

أما نایر ومريم فجلسا في إحدى الاستراحات الموجودة في الجنينة، وبعد دقائق من الصمت كانت مريم تنظر فيها على الأطفال، بدأت بالتحدث وقالت لنایر وهي ما تزال تنظر إلى الأطفال، وخصوصا إلى عادل، الطفل الذي يبلغ من العمر ٦ سنوات: "غريبة أوي يا نایر، في وقت ما الناس بتلعب بلاقي عادل عايز يقعد لوحده أو بيقف يتفرج عليهم!"

فرد عليها نایر بحزن: "عادل من أكتر الولاد المجروحين هنا، علشان هو من ضمن الأطفال اللي أبوه وأمه عايشين بس مينفعش يعيش معاهم".

مريم: "طب ليه مينفعش يعيش معاهم ؟"

والده عنده شلل بسبب جلطة في المخ خلّته ميتحركش وأمه السبب في كدا.

مريم بدهشة: "إزاي ؟"

طارق: "كانت دايما تقلل من قيمته قدام الناس بسبب مرض التسول الذي تعاني منه، فكانت تخرج طول النهار تتسول على البيوت والقهاوي وترجع آخر الليل، ولما أبوه عرف إن مراته بتعمل كدا ضربها ومنعها من الخروج في الشارع، وفي يوم، كان أبوه قاعد على القهوة في مكان بعيد عن البيت.. كان قاعد يفكر في همومه زي أي حد مصري، فسمع صوت واحدة واقفة قدامه بتمد إيديها ناحيته وبتقوله: "ممكن حاجة للواد علشان ده مكلش من امبارح ؟""

وهو بيخرج الفلوس بص عليها لقاها مراته فاصطدم من شدة الموقف لما شاف ابنه شايلاه على كتفها وملبساه لبس مقطع، فجتله جلطة على مخه كانت هتموته، لكن اكتفت إنها تسبب له شلل، فطلب أخوه وقاله :"أبوس إيدك يا اخويا دخّل ابني ملجأ محمد الصادق"

في البداية رفض أخوه وقال له: "انت بتقول إيه ؟.. أدخّله الملجأ وأنا موجود ؟! أبداً.. أنا آخده يعيش مع أولادي في بيتي".

فرد الأب المكلوم: "يا اخويا، أنا عارف إنك مش هتسيبه، لكن طول ما الولد عندك، أمه مش هتسيبه، علشان كدا ابعته الملجأ، وهناك اهتمام، وكل فترة والتانية نبقى نروحله أنا وانت".

وبالفعل جاء إلى الملجأ، وانتهى من جميع الإجراءات، ومديرة الملجأ تفهمت الموضوع وقبلت عادل الذي ظل يبكي لمدة أسبوع، ولكن مع الوقت، شدة الألم سببت له حالة لا مبالاة بما يحدث حوله، وفي الأيام الأخيرة كانت هتحصل مصيبة؛ لأن أمه عرفت مكانه، وجت الأيام اللي فاتت وطلبت من المشرف تاخده تجيبله حاجة ياكلها وهترجعه تاني، فوافق المشرف، ولكن أرسل خلفها رامي اللي عمره ١٣ سنة، وفيما هو يراقبها وجد الأم ذاهبة في اتجاه سيارات الأجرة لتأخذه إلى مكان آخر، فذهب إلى المشرف وأبلغه بكل شيء، فأسرع المشرف إلى تلك السيارات، فوجد عادل على وشك ركوب أحدها، فأمسكه من يده، وطلب من أمه أن تتركه، وقال لها: "إيه يا أم عادل، اتأخرتي، فقلت آجي آخد عادل أحسن متعرفيش ترجعي بيه ولا حاجة".

فقالت الأم بغطرسة: "وانت خايف إني أتاخر عليك ليه، دا ابني، هو انت هتخاف عليه أكتر منّي؟"

مشرف الملجأ: "آه طبعا؛ لأنه مسئول منّي، ولو حصله حاجة، أنا هتأذي، ودلوقتي ياريت تسيبيه علشان متحصلش مشاكل".

وبصوت عالٍ ردت الأم: "مشاكل إيه، دا أنا أمه!"

وبهدوء قال لها المشرف: "هو فعلا انتي أمه بس الولد في الملجأ، وعلشان تقدري تاخديه لازم تخلصي إجراءات الملجأ اللي أصلا مينفعش تخلصيها إلا بوجود العم اللي جابه هنا بموافقة الأب".

بعد نقاش كبير أخذ المشرف عادل وعاد به إلى الملجأ وقام بشرح الموقف لعادل، وحاول يقنعه أنه مينفعش يروح مكان غير لما هو يعرف؛ علشان هو بيقلق عليه، ولأن عادل كان بيحب المشرف جدا وافق على ما قاله له.

ودي يا ستي حكايه عادل كلها" وهكذا توقف ناير عن سرد حكاية عادل.

في هذه اللحظة اتسعت حدقتا عين مريم من شدة الذهول، وبأسف قالت لناير: "وأنا اللي كنت فاكره إن كل اللي في الملجأ ملهوش أب ولا أم، اللي مات منهم في حادثه أو مرض.. أو غيره".

رد ناير بأسف على كلام مريم، فقال: "فيه كمان أمهات وآباء اختفوا فجأة بدون سبب ظاهر وسابوا لابنهم لغز صعب يتحل، وحله هو الطريق الوحيد علشان يقدر يوصلهم".

مريم: "يعني إيه الكلام ده يا ناير، مش فاهمة".

يمنع ناير دموعه ويحبسها خلف عينيه البنيتين، ويقول: "مش مهم تفهمي دلوقتي، لكن مع الوقت هتفهمي كل حاجة، وهتبقى واضحة قدامك".

ثم يتوقف ناير عن الكلام فيسود الصمت للحظات، تقطعه مريم قائلة وهي تنظر إلى الأطفال وهم يلعبون: "الإنسان ده غريب أوي، بيفضل طول عمره بيدور على تعب نفسه، علشان يوصل لهدفه اللي هو أصلا لو وصله يبقى بداية لتعب جديد وهدف أكبر من اللي حققه، وبنفضل دايما ندور على الأحسن، ومش بنشبع أبدًا، ونحاول نعرف الحاجات اللي فضلت دايما مخفية عننا حتى لو كانت هتبقى السبب في موتنا.. حب الاستطلاع بيخلينا نكمل وفي الآخر

وبعد كل اللي بنعيشه في الدنيا من أحداث وحروب ومؤامرات دولية وخيانة زوجية وحب فاشل وفضايح مشاهير، وتطوير في أسلحة أكثر دمارًا للجنس البشري هيفضل طفل الملجأ منسي عند ناس كتير، وهيفضل الملجأ وصمة عار على اللي بيدخله، وما زال بتنضم ليه الأطفال اللي محتاجة للرعاية".

يظل ناير صامتا شاردا وكأن كلام مريم ضغط على وجعه الأكبر، فتعاود مريم الحديث مرة أخرى وتقول: "كلنا بندور على الحب، ومش بنلاقيه غير في صدفة بدون ترتيب، وكلنا مش هنحب نفسنا إننا نعيش في ملجأ ونبقى منسيين، بس العيشة في الملجأ بالشكل ده وبطيبة اللي شغالين فيه واهتمامهم بالأطفال، هيخلوك تكره العيشة بره وسط العشوائيات، والأخلاق الفاسدة، وأنا عن نفسي لو اخترت أعيش فين، أكيد هختار أعيش هنا مع الولاد دول، هفضّل ساعتها أكون منسية، لكن صاحبة أخلاق ونيتي صافية من الكره والحقد اللي موجودين بره".

اندهش ناير من كلمات مريم وحكمتها رغم صغر سنها، وزاد إعجابه بها، ونسي حبه لعبير، وكأنه لأول مرة يشعر بمشاعر الحب تجاه مريم، فنظر إلى ساعته وأدرك أنه باقي ٤٦ ساعة على فتح الصندوق، فسألته مريم:

"يعني سكت وبصت في ساعتك، هو انت عندك ميعاد مهم؟"

ناير: "دا أهم ميعاد في حياتي كلها".

مريم: "إيه بقى، شغل ولا حبيبتك؟"

ناير: "ولا ده ولا ده".

مريم: "تمام".

ثم تصمت حتى لا تضايقه بأسئلتها الكثير، ولكن فجأة رد ناير على سؤالها وقال: "بعد يومين أكتشف المجهول عني بقاله سنين وأعرف السر المبهم بالنسبة لي، وقريب هرتاح من كل الأسئلة اللي فضلت طول عمرها مكتفاني، ولم أجد لها إجابات وافية.. قريب أكسر المسكنات دي وأفتح باب الواقع والحقيقة بتاعي".

مريم باندهاش: "إيه الكلام الكبير ده يا ناير بس!"

ناير: "ولا كبير ولا حاجة، وكل شيء ليه وقته، بس المهم دلوقتي عايزك تخلّي بالك من ياسين جدا؛ لأنه عنده حالة بتجيله زي التشنجات كدا، ولازم حد يلحقه أول ما تجيله".

مريم: "وهو عنده إيه؟ مرض نفسي ولا إيه، علشان أنا بخاف بصراحة".

ناير: "صدقيني مش عارف بالظبط، بس ياسين كان من النوع اللي بيحب أبوه جدا، وكان عايش معاهم في الترب.. تخيّلي بقى طفل ما بين الترب شايف ميتين داخلين، كل يوم اللعب بتاعه بين المدافن لوحده ما لوش صحاب ومبعرفش يعني إيه مدرسة.. لابس جلابية وقاعد بيراقب الصمت اللي موجود في المكان.. أمه ماتت بسكتة قلبية.. بعض الناس قالت إنها شافت الميتين طالعين من الترب وجايين عليها في وقت كان جوزها وابنها بره الترب فدخلت الحوش وقفلت الباب لحد ما النور انطفا فجأة، وهي بتبص ناحية الشبابيك لقيت هياكل عظمية بتنزل لها، فماتت من شدة الخضة.. وبعدها بكام ساعة وصل ياسين هو وأبوه، ودخل لقى أمه بَصة ناحية الشباك وفاتحة بُقها، وكان

منظر يخوف جدًا، ومن ساعتها كان كل يوم يروح القبر بتاعها ويقعد جنب باب القبر يتكلم معاها ويقولها سبتيني ليه، أنا جعان يا ماما، مش تخرجي تأكليني، ومع حكاوى الناس اللي كانت قريبة من الترب قالت إنها فعلا كانت بتطلع تتكلم معاه، وفي ناس قالت إن في روح سحبته للتربة، وشاف نفس اللي شافته أمه، ويمكن أكتر، بس أبوه لحقه وسحبه من التربة، ومن خوفه على ابنه قعد وقت كبير يفكر في حل يحافظ بيه على ابنه لحد ما قرر إنه يبعته هنا، وطبعا محدش يعرف من صحابه الموضوع ده، غير احنا والمديرة".

انقبض قلب مريم من الرعب، وقالت وهي تتلعثم بالكلام: "يا لهوي! دا ولا أفلام الرعب اللي بخاف أسمعها أصلا".

ناير: "لا متخافيش.. ولعلمك، ياسين من أحسن الأطفال اللي موجودين هنا في الملجأ، طفل ذكي جدا وبيسمع الكلام وابتسامته مش بتفارق وشه.. هي بس الحالة اللي بتجيله دي اللي مشكلة، واطمني مش دايما بتحصله، يعني كل فين وفين، ومتقلقيش، أنا معاكي لو حصل حاجة ومعرفتيش تتصرفي".

مريم: "بجد أنا مش عارفة أقولك إيه يا ناير، أنا فعلا كنت محتاجة المعلومات دي كلها، علشان أقدر أحدد طريقة المعاملة مع كل واحد فيهم ممكن تكون إزاي".

ناير: "أنا في خدمتك طول الوقت، المهم إنك تخلّي بالك من الأطفال كويس وتعامليهم كأختهم وأمهم وصاحبتهم، علشان يقدروا يدوكي الثقة ويقولولك على أي مشكلة بتحصل معاهم، وكمان خلّي بالك من الدراسة، إحنا خلاص

الامتحانات قرّبت ومتقلقيش، أنا أساعدك في الملازم وكمان المذاكرة، بس انتي شدي حيلك".

مريم: "حاضر.. ربنا معانا".

ناير: "آمييين يا رب.. أقوم أنا بقى علشان بقالي كتير منمتش، تمام.. باي".

مريم: "باي".

ذهب ناير إلى غرفته وارتمى متمددًا كالجثة الهامدة على السرير، وكأنه لا يريد شيئًا سوى النوم، فغاص في أعماق أحلامه تاركًا الصندوق مكانه، وعاوده في منامه ذلك الحلم المتكرر.. صوت ينادي عليه، فيجري نحو أصدقائه، فيتعثر في حجر ويقع على ركبتيه، فتُصاب بجرح غائر ويساعده أصدقاؤه ليقف بعد صعوبة كبيرة بسبب الألم، فينظر وهو يبكي من الألم إلى طفل في نفس سنه تقريبا يمسك بإحدى يدي والدته، وفي الأخرى يمسك ببعض البلالين ويضحك بعد مداعبة أمه، فينسى ناير الجرح الذي أصاب ركبتيه، وفي نفس اللحظة يفلت من يد أصدقائه ويقول: "أنا خفّيت خلاص."

ظل ذات الحلم يراود "ناير" كل ليلة حتى تعود عليه، ومر الوقت، واستيقظ ناير على رن هاتفه ليرى من المتصل فيجدها ابتسام فيغلق الخط ليعاود هو الاتصال بها.

وبينما يتثاءب ويعيد الاتصال بابتسام، يسقط بصره على ساعة الموبايل، فيهب صارخًا: "إيه ده، أنا نمت أكتر من ٢٤ ساعة، دا أنا أول مرة أحب النوم كده".

يسرع بالاتصال بـابتسام، فترد عليه من أول رنة: "إيه يا أستاذ فينك كل ده ؟"

نابر: "معلش كنت نايم".

ابتسام: "يخرب بيتك، كل ده نوم!"

نابر: "أهو لقيت حاجة أعملها بدل ما أنا فاضي كدا".

ابتسام: "شكلك فتحته.. ومش راضي تقولي.. صح ؟!"

نزلت تلك الجملة على نابر كالصاعقه، وتساءل في نفسه عمن أخبر ابتسام بسر الصندوق.. هل طارق ؟! ولكن عاد وقال في نفسه: "مش معقول يكون طارق قال لها حاجة عن الصندوق، خاصة وأنه أكد لي أنه قال لها إن المفتاح الذي أعطاها إياه هو المفتاح الخاص بغرفتي قد تركته معه ليفتح الغرفة وينتظرني بها في حالة عدم وجودي".

الفصل السابع عشر
الحُبُّ القَاتِلُ!

١٨ ساعة بقيت على فتح الصندوق.. وعقارب الساعة تشير إلى التاسعة صباحا، والشمس تتسلل إلى حجرات منزل سارة ذي الغرف المتعددة.. بعد فتح الستائر، تضع الأم طعام الإفطار على السفرة الصغيرة وتنادي على ابنتها، فترد سارة: "صباح الخير يا ست الكل".

الأم: "صباح الخير يا قلبي، مش يلّا بقى علشان ناكُل".

سارة: "يلّا يا حبيبتي".

ثم يجلسان على السفرة، وتضع سارة هاتفها بجانبها، وتبدأ في تناول الطعام فتستقبل رسالة من طارق على هاتفها، فتفتحها، فتجد نصها يقول: "صباح الفل على أجمل قلب في الدنيا".

فترد برسالة تقول: "بس علشان زعلانة منك يا رخم".

وبسرعة كبيرة يتصل بها طارق، فتغلق الخط عليه مرة تلو الأخرى، فيرسل لها رسالة تقول: "ما انتي لو مردتيش أنا هنتحر وأرمي نفسي من على السرير وآشيلك ذنبي دلوقتي.. هاا بقى!"

تبتسم سارة، وتواصل الأكل حتى لا تلاحظ والدتها ما تفعله، وترسل إلى طارق رسالة تقول: "ألف سلامة يا حبيبي عليك من الانتحار"، فيعاود الاتصال بها، ولكنها لم ترد!

تنتهي سارة من الطعام وتستأذن من والدتها لعمل مكالمة هاتفية، فتدخل غرفتها وتغلق الباب ثم تفتح الخط على طارق، وتقول بنوع من الدلال: "نعم عايز إيه ؟"

طارق: "نعم دي طالعه منك زى العسل".

سارة: "يا سلام.. طب يلا بااي عشان مش عايزة أكلمك".

طارق: "مش عايزة تكلميني طب تعالي هنا".

سارة: "نعم".

طارق: "يا لهووي على نعم منك، ومش عايزة تكلميني ليه ها ؟"

سارة: "عشان سبتيني أروح من المستشفى لوحدي، وكمان مرنتش عليا".

طارق: "صدقيني غصب عني، كنت مطبق ومحستش بنفسي".

سارة: "ما أنا عارفة على فكرة، بس برضو زعلانة".

طارق: "خلاص بقى، أنا آسف".

سارة: "خلاص.. خلاص.. قطعت قلبي.. صالحتك خلاص".

ثم يتحدثون ويتبادلون الدعابات فيضحكون ويمر الوقت ساعة تلو الأخرى دون الشعور بالزمن.

إنه الحب الذي ينسى المحبون في محرابه الوقت، والحياة كلها، ويذوبان شوقًا في ذاتهما.

والحب بدأت ثماره تنبت بين قلبي سارة وطارق، فأثمر زهرًا وعطرًا، وهنا يتذكر طارق لعنة موت الحبيب، فيبدأ بالتراجع عن مد حبال الود مع سارة خوفًا مما سيحدث لو أكمل طريق الحب إلى نهايته، فيسارع بالوداع المؤقت المحتوم وقلبه يعتصر ألمًا..

ولكنه يتحمل الألم خوفًا على حبيبته من اللعنة التي تصاحبه، فكان عليه إما أن يبتعد عنها ليعود بعد حين، أو يواصل علاقته بها، فيفقدها إلى الأبد، ولكن الشاب الوسيم فضَّل أن يكون كمن يغلق قفص الأسد عليه، ليكون ضحية بدلًا من حبيبته، فيسمح لأسد الفراق والألم أن يلتهمه التهامًا وهو منزوع الإرادة، ومستسلم تمامًا لما يحدث.

كل هذا كان يشعر به طارق، ولا يبوح به لأحد.. دارت كل هذه الآلام أمام طارق، وهو يتحدث مع سارة تليفونيا، ولهذا قال لسارة: "معلش يا حبيبتي، لازم أقفل دلوقتي".

سارة: "ليه بقى، إنت زهقت من الكلام معايا ولا إيه!"

طارق بنبرة حزينة: "لا يا حبيبتي، بس في حاجة لازم أعملها دلوقتي".

سارة: "وإيه هي الحاجة المهمه دي اللي مخلياك عايز تقفل وتسبني، هاا!".

طارق: "هادخل الحمام يا ستي، مش قادر، ثانية تاني ومش عارف ممكن أعمل إيه".

تضحك سارة على كلام طارق، وتقول: "ماشي يا حبيبى، وأنا كمان عندي كام حاجة كده برضو".

يرد طارق مسرعًا: "إيه، حمام برضو ولا إيه؟"

سارة: "لا يا خفيف، بس بعدين بقى أبقى أقولك".

طارق: "مااشي يا روحي، باااي".

سارة: "باااي".

يغلق طارق الهاتف ويلقيه بجانبه على السرير، ويتمدد على سريره، واضعًا يده تحت رأسه ويأخذ نفَسًا عميقًا ويغرق في التفكير ويطرح على نفسه سؤالا: هل سينجح ما يفعله مع نايرا؟ هل سيأتي اليوم ويعيش حياة طبيعية مثل أي شخص؟ هل سيأتي اليوم ليتزوج بسارة التي أحبها كثيرًا، ولا يتخيل الحياة بدونها.. لماذا هو الذي وقع في تلك اللعنة من بين كثير من البشر، وراح يردد:

"لماذا أنا الذي أعيش بين البشر متحكمًا في مشاعره، خوفًا على غيره من الأذى الذي يضره بسببي؟ لماذا أنا أكون السبب في إرسال مَنْ أحبهم إلى القبر الذي يستحيل العودة منه، وأبقى وحدي أواجه مصير الفراق والدموع والألم على موت أحدهم بسبب حُبي لهم؟"

وظل طارق تائهًا في التفكير منتظرًا الأمل الذي قد يجده في صندوق نايرا، الذي أصبح مخرج المتاهة التي وقع فيها بلعنته.

وبتنهيدة كبيرة ردد طارق اسم "ناير"، وقال في نفسه: "أنا وناير أصدقاء الحظ السيئ الذي جمعنا معًا، وجعلنا عبيد الظروف القاهرة، رغمًا عنَّا، ثم وضعنا معًا تحت رحمة ذلك الصندوق، لعلَّه يكون رحيمًا ويزيل عنا تلك الأحمال التي تمنوا أن تذهب بعيدًا عنهم".

فيما هو سارح بأفكاره يحرك رأسه جهة اليمين، فينظر إلى الساعة، فتتسع حدقة عينيه فجأة، وينهض سريعًا من على السرير .

الفصل الثامن عشر
المُغامرةُ الأخِيرةُ!

"إنتي تقصدي إيه بأني فتحته ولا لسه"

قالها ناير بدهشة كبيرة لابتسام وهي تحادثه هاتفيًا فشعرت الأخيرة بأن "فيه حاجة غلط" وقالت:

"إيه يا ناير، ما لك قلبت وشك كده؟ عاادي، أنا بسأل علشان عايزة أعرف رد فعلك هيكون إيه".

يمسح ناير عرقًا تصبب به جبينه نتيجة التوتر وقال: "برضو مقولتليش إنتي بتتكلمي عن إيه بالظبط ؟"

تصمت ابتسام ولا ترد للحظات حتى كاد أن ينخفض ضغط ناير أو انخفض بالفعل، فمرت هذه اللحظات، وكأنها ساعات لأنه لا يريد أن يعرف أحد سر هذا الصندوق حتى يصل إلى ما يريده .

وبعد ثوانٍ من الصمت تكلّمت ابتسام، وقالت: "يا ناير، أنا كنت بسألك، فتحت الفيديو اللي بعتهولك على الواتس ولا لا؟ ولا انت نسيت أن عيد ميلادك النهاردة!"

بعد أن سمع ناير هذه الكلمات شعر وكأن حجرًا ثقيلًا سقط من فوق قلبه بعد أن كاد أن يقتله، وبدأ يأخذ نفسه الطبيعى ويبتسم، وقال: "تصدقي أنك بجد أغلى وأحسن صديقة عندي".

ابتسام: "شوفت بقى إني أحسن صديقة ومش بتعتبرني غير كده بس!"

نايرة: "وهو في أكتر من صديقة يا ابتسام؟"

ابتسام: "آه طبعا في".

نايرة: "إيه هي بقى؟"

بصوت خافت قالت ابتسام: "حبيبة".

يحاول نايرة أن يتهرب من الموضوع، ولكن تقاطعه ابتسام وتقول:

"أنا عارفه أنك هتهرب بالكلام منّي، بس بجد أنا مش قادرة يا نايرة، أنا فعلًا بحبك، وكنت باتقطع من جوه لمّا كنت بتكلمني على عبير، لكن مكنش بإيدي حاجة، غير إن آشوفك فرحان وعينك بتلمع من الكلام عنها، لكن دلوقتي وبعد ما عرفت إنها مش عايزاك، أظن من حقي أقولك كده.. من حقي أرتاح وأعبر عن اللي جواي من ناحيتك، ممكن تقول عليا مجنونة إني اتجرأت وقولتلك بحبك، بس أنا مش خايفة من رد فعلك، لكن كل اللي خايفة منه إنك تخسرني للأبد بسبب حبي لك، عارفة أن فيض المشاعر اللي جوايا ده عامل زي البركان لما ينفجر بيبوظ كل حاجة حواليه، لكن أحيانًا بيبقى السبب في خصوبة الأرض ويخليها تنبت أفضل النباتات، فممكن حبي ليك يبوظ علاقتنا ببعض أو يخليها بداية حياة جديدة".

انتظر نايرة حتى انتهت ابتسام من كلامها، وبعد أن صمتت بدأ هو بالحديث، فقال: "يا ابتسام، أنا بجد مش عارف أقولك إيه، كلامك أذهلني فعلًا، وصدقيني أنا باحترمك جدًا وبثق فيكي، وفكرة إني رافض إن أحبك ده عشان

بجد شايفك أفضل صديقة عندي ومقدرش أخسرك في يوم من الأيام بسبب إننا حبينا بعض كأصحاب، عشان كده أنا مقدرش أتقدم خطوة في الحب معاكي، عشان بجد مش عايز أخسرك كصديقة.. أنا محتاجلك دايما جنبي، لأنك إنتي الوحيدة من صحابي اللي بتفهميني وتقدري تحلّي كل مشاكلي.. إنتي الوحيدة اللي بتخافي عليا وعلى زعلي.. ودايما معايا ومسبتنيش، ولا اتخلّيتي عنّي يوم، لدرجة إن مبقتش أعدّي اليوم من غير ما احكيلك على كل حاجة بتحصلي، فأنا مش عايز بعد كل ده نخسر بعض، بسبب إننا متفقناش ومتوفقناش في علاقة حب، وساعتها ملقيش السند والإنسانة اللي بتسمعني دايمًا ومهتمة بكل حاجة بعملها".

يصمت ناير للحظات ويعاود كلامه، فيقول: "ابتسام، أنا عايزك معايا كصديقة؛ لأني مش عايز أخسرك".

كتمت ابتسام صوت مايك الهاتف حتى لا يسمع ناير صوت بكائها، وبرغم أن كلام ناير ليس مؤلمًا مثلما حدث معه عندما صارح عبير بحُبه لها، ولكن ظلت ابتسام تبكي بصوت عالٍ، وناير ينتظر ردها، وطال الصمت، فبدأ ينادي عليها.

وعندما سمعت ابتسام صوت ناير كتمت صوت بكائها وفتحت المايك، وقالت:

"وأنا هفضل جنبك يا ناير.. وسوري لو ضايقتك بكلامي، بس صدقني كلامك ريحني حتى لو مبقناش لبعض في الآخر، بس برضو ما دام مخسرناش بعض، ده في حد ذاته مكسب بالنسبة لى ؟"

ناير: "وبالنسبة لي أنا أكيد طبعًا".

ثم نظر إلى ساعته، فاستأذن من ابتسام وأغلق هاتفه بسرعة، وفتح على رقم غريب، ثم قال المتحدث: "الو.. ناير معايا؟"

ورد ناير: "آه، ناير معاك، مين حضرتك؟"

الفصل التاسع عشر
بَوَّابَةُ الكَرمَةِ

بإنصات سمع ناير المكالمة التليفونية التي تلقاها وقال محدثه:

"مش مهم تعرف أنا مين، بس المهم مبروك عليك فتح الصندوق، ومتحاولش تنكر، أنا عارف كل حاجة وعندي علامة بأن أول ما صندوق الكرمة بيفتح بتنور سلاسل الخروج من بوابة الكرمة".

ناير: "أنت عرفت المعلومات دي كلها إزاي وسلاسل إيه دي اللي بتتكلم عنها؟"

المتحدث هاتفيا: "يا ابني، متخافش أنا بكلمك عشان أساعدك وعشان كمان آديك السلاسل اللي بتسأل عليها دلوقتي، وكمان عشان أقولك إن السلاسل دي، أبوك وأمك سابوها عندي من زمان وقالولي: أول ما السلسلتين دول ينوروا يبقى كده ناير فتح الصندوق، وساعتها لازم تديله السلاسل دي عشان يعرف يخرج من المدينة".

ناير: "سلاسل إيه بس، الراجل اللي فك لنا الشفرة، قال إني هادخل المدينة بوقت معين بروحي، وهاخرج تاني بعد ما الوقت يخلص".

المتحدث تليفونيا: "كل ده صح حسب كلام المخطوطة؛ لأن أبوك كان حريص جدا، وخاف أحسن حد يفتحه غيرك، فخد المخطوطة اللي بتكمل الأولى وحرقها وساب السر ده معايا أنا وبس وإداني السلاسل دي، ودلوقتي هتشيل

المخدة هتلاقيهم تحتها ومتسألش إزاي جبتهم هنا، والمهم قبل ما أقفل استخدام السلاسل دي، دي سلاسل مصنوعة من الذهب الخالص ومتعلق فيها قلب بلوري لو ركزت فيه هتلاقي شاشة صغيرة بتبين الوقت، بس حاليا واقفة، وهتشتغل لما تدخل المدينة، وبعد انتهاء الوقت هتخرج من المدينة، وانت عارف كل حاجة إن شاء الله، كمان عايز أقولك لازم اتنين يدخلوا مع بعض، وعشان كدا صاحبك طارق هيبقى له نصيب في الدخول للمدينة".

لمعت عينا ناير من شدة السعادة والفرحة بسبب تأكيد المتصل بأن طارق سيدخل معه إلى المدينة، ولأنه أخيرًا وجد مكان حل أسئلته واكتشاف حقيقته الضائعة.

ناير: "في البداية كنت عايز أعرف اسمك وإزاي عرفت ده كله منين، لكن بعد اللي سمعته منك وإنك بعتلي السلاسل بالسهولة دي، فأنا مش عايز أعرف حاجة عنك، غير إني أشكرك جدا على كل اللي عملته علشاني".

المتحدث تليفونيا: "متشكرنيش يا ابني، دي رسالة، وكان لازم أوصلها، ودلوقتي لازم أستأذن، باي".

ثم أغلق المتصل هاتفه، ومر الوقت، وظل ناير يفكر فيما سيفعله عندما سيدخل إلى عالم الكرمة، هل بالفعل سيكتشف ما يريد أم سيظل يبحث عن المجهول؟!

ودق قلبه بسرعة أكبر عندما وجد السلاسل التي أخبره بها الرجل الغامض الذي تحدث معه هاتفيًا، فوضعها بجانب الصندوق، وظل مكانه جالسًا لفترة، ليست طويلة، ثم قرر الذهاب ليأكل، ثم يلتقي مع مريم ليتبادلوا الحديث

حول الأطفال ومشاكلهم ومعاناتهم، وظلا يتبادلان الضحكات والابتسامات، ونبتت في قلب كل منهما شجرة المحبة، فكان الوقت يمر مسرعًا، حتى كأن الساعات دقائق.

ورغم الحب المتبادل بينهما، لم يبح أي منهما للآخر بشيء عن هذا الحب .

لم يعد هناك غير ساعتين فقط على موعد فتح الصندوق، فيترك ناير مريم، معتذرًا لها بأن عليه بعض الأشياء التي يجب أن ينتهي منها، فغادر المكان، وقام بالاتصال على عالم فك الشفرات، وطارق ليطلب منهما المجيء إلى الملجأ حتى ينهي ما بدأوا؛ لأن الوقت قد حان على فتح أبواب الكرمة..

وبعد ساعة ونصف، وصلا إلى ناير فأدخلهما الغرفة، وهنا حدثهم عن حكاية السلاسل التي تعتبر المخرج الوحيد من المدينة الخيالية والتي لا يخطر ببال أحدهم التفكير في كيفية الخروج منها، وانصبّ كل تركيزهم في كيفية دخولها..

فقال الضيف لناير: "أنا فعلًا فاتتني نقطة أنكم إزاي تخرجوا، كان في بالي عادي بعد ما الوقت يخلص هتخرجوا، لكن السؤال هنا بقى: "جبت السلاسل دي إزاي ؟"

ناير: "عادي، واحد كلمني وقالي إنه يعرف بابا وماما، وهمّا اللي سابوا السلاسل دي عنده، وقالوا له: أول ما تنور السلاسل تحاول توصل لناير في أسرع وقت وتديله السلاسل فبعتهمولي فعلًا، وعرفت ساعتها أنها مفتاح الخروج".

طارق: "طول عمرك بتفكر، وأخيرا هنفذ، صح يا صديقي ؟ هندخل وناخد اللي عايزينه ونخرج من غير ما يحصل مشاكل لأي حد فينا يا صديقي".

الضيف: "ودلوقتي عشر ثوانٍ، ونبدأ رحلتنا"..

وبدأ العد التنازلي حتى انتهى الوقت، فتفاعلت المادة الزرقاء التي كانت محفوظة داخل القطعة الحديدية، وقام طارق وناير بلبس السلاسل، وبدأت أبواب الكرمة تظهر مثل باب خشبي قديم على الحائط، عليه مفتاح كبير مصنوع من الذهب.. يتحرك الباب لليمين فيفتح ويخرج نور عظيم منه يجعلهم يغمضون أعينهم، وبعد لحظات يبدأ الضيف بفتح عينيه فيجد ناير وطارق ممددين، أحدهم على السرير، والثاني على الكرسي، فظل جالسًا ينظر إلى الصندوق والوقت المدون على الشاشة الصغيرة الموضوعة على الصندوق..

وبقلق واضح ظل ينتظر ويراقب حتى ينتهي الوقت، ليعود ناير وطارق من رحلتهم، وفي هذه اللحظة، كانت روحا ناير وطارق قد انتقلتا عبر الضوء الأبيض هذا إلى ما يشبه السماء، فظلا يصعدان للأعلى حتى وجدا نفسهما واقفين أمام سور عظيم ذي بوابتين كبيرتين جدا مكتوب على إحداهما **(بوابة الحقيقة)** والأخرى **(بوابة فك اللعنات)** ، فينظر ناير لطارق بابتسامة.

ناير: "أخيرًا يا طارق وصلنا".

طارق: "نجحنا يا ناير، بس مش عايزين نضيع وقت، ادخل أنت للحقيقة اللي مستنياك وأنا هروح للمشعوذ".

ناير: "تمام، يلّا بالتوفيق يا صديقي".

فيغادر طارق ويسير نحو بوابة فك اللعنات، فيسقط بصره على الأرض التي يسير عليها ليجدها مليئة بالدماء تغوص بداخلها كتل لحمية تشبه قلوب

البشر، وعلى تلك الدماء ممر ضيق جدًا يابس يكفي لطارق المرور عليه، فظل يجري بحذر تام، وظلت الأرواح الموجودة في المكان تسير في كل مكان بملامحها الشاحبة وعيونها الحمراء، ولكن كان كل تركيز طارق في هذه اللحظة، هو الوصول إلى المشعوذ.. وأخيرًا وصل للبوابة بالفعل، ففتحت البوابة مع صوت ينادي بالداخل ويهتف: "افتحوا لملعون الحب".

ففتحت البوابة، ودخل طارق إلى المشعوذ، فلم ير شيئًا من شدة الظلمة التي غطت المكان بأكمله، وبدأ يظهر من الظلمة كلمات بأسماء لعنات، مثل لعنة الفراق، لعنة الحظ السيئ، لعنة الحاقد، لعنة الحب التي أصابتني، وغيرها من اللعنات، ولكن بعد ظهور هذه الكلمات بدأ يظهر اثنان من الأعمدة الضخمة مصنوعة من النحاس الأحمر، ومتصل بها أعمدة أفقية من نفس المادة، تكسوها أقمشه حمراء، مَنْ يقترب منها يتخيَّل أنها من القطيفة أو من الحرير .

وفوق هذه الأعمدة ظهر شيء يشبه كرسيًا يجلس عليه وحش ضخم هيئته، مثل الإنسان وبشرته كفحم متقد.

انكمش فم طارق من شدة الخوف، وعجز عن الكلام، ولكن الوحش الجالس على الكرسي تكلم، فقال: "طارق الملعون بلعنة الحب ومات بسببك اتنين من أعز الناس عندك، وكنت خلاص قربت تموت التالتة وهي حبيبتك، لكن كنت بتلحق نفسك على آخر لحظة، صاحبك ناير محبتهوش، لكن كان حد قريب ليك شوية، وأحب أقولك بالمناسبة يا طارق، إنت أفضل شخص قدر يتحكم في مشاعره على مدار وقت كبير؛ لأن اللي قبلك موّت ناس كتير وانتحر هو

عشان ميبقاش السبب في موت حد، لكن انت قدرت تعمل اللي انت عايزه ومسبتش حاجة تتحكم فيك".

بتلعثم رد طارق: "إيه ده، إنت مسبتش حاجة غير لمّا قولتها، يبقى أكيد انت المشعوذ اللي بدوّر عليه".

المشعوذ: "آه، أنا المشعوذ اللي يقدر يخلّصك من اللي انت فيه بس بشرط".

طارق: "أنا موافق من غير ما تقول".

المشعوذ: "مش لمّا أقول الأول، يمكن متوافقش، وعمومًا شرطي الوحيد هو لو أخذت منك اللعنة، ساعتها لازم تخسر حاجة مهمة في حياتك".

طارق بحزن: "أخسر حاجة مهمة في حياتي!!"

صمت طارق ليفكر وفي النهاية طلب معرفة ما هذا الشيء الذي يمكن أن يخسره، فقال له المشعوذ:

"الحاجة اللي ممكن تخسرها هي حبيبتك أو ولادك".

طارق: "حبيبتي، مستحيل طبعًا، دا أنا عايز أشيل اللعنة دي عشانها وولادي إيه، أنا معنديش ولاد أصلًا".

المشعوذ: "ما هو مش لازم ولادك يكونوا موجودين دلوقتي، لكن أنا أقدر أخلّيك متخلفش أصلا، وده اختيارك".

ظل يفكر طارق بيأس وحيرة، ويقول في سره: "هل بعد ما وصلت لحل لعنتي أصطدم بلعنة أخرى؟ هل القدر جعلني صاحب الحظ السيئ لآخر يوم في عمري!!"

ولكن بعد قليل اختار طارق أخيرًا فقال: "أنا هبدل معاك لعنتي.. أكيد الولاد مش هيبقوا سر سعادتي قصاد إني أبعد يوم عن الإنسانة اللي حبتها".

المشعوذ: "وأنا عند وعدي، فرك المشعوذ يديه فاشتعلت نار عظيمة، وأسقطها على طارق فسحبت تلك الروح السوداء منه، وبعد أن انتهى، قال له:

"إنت دلوقتي تقدر تعيش بطبيعتك عادي، وأما الخلفة فانساها يا طارق؛ لأني هاشيلها منك دلوقتي، فرفع يديه مرة أخرى وأنزلها على طارق، وفجأة ينتهي الوقت، ويعود طارق إلى جسده".

الفصل العشرون
قَصْرُ الحَقِيقَةِ!

جاء دور ناير ليدخل باب الحقيقة، فكان يمر بين منازل كثيرة مكتوب عليها لافتات مثل منزل المرضى، والثاني الفرح، والثالث منزل المشاكل، والرابع الخوف.. وهكذا حتى انتهى عند قصر كبير مكتوب عليه: (**حقيقتك هنا**)، فدخل إليه، فوجد رجلًا معه زوجته متعبين للغاية، فساروا بصعوبة عابرين نحو ممر يشبه ممر الملجأ الساكن فيه ناير، تاركين طفلًا صغيرًا خلفهم وينظرون له فتسقط الدموع من أعينهم، فيمسك الرجل يد امرأته ويستديران ليكملا طريقهما حتى يصلا لإمرأة تشبه المديرة فيعطوها أموالًا كثيرة لتبني هذا الملجأ من جديد، ثم أخذت المديرة الطفل بداخل الملجأ ليعيش بين الأطفال الذين يتوافدون للملجأ، وفيما هو ينظر تقع يد حانية على كتفه الأيسر، فينظر فإذا هو شخص ذو شعر أبيض، وجهه جميل جدا، مبتسم، فيقول له:

"قبل أي حاجة، أنا عارف أنك مستغرب من اللي انت شوفته، وبتحاول تربطه بالواقع، بس أنا أفهمك كل حاجه".

وتابع الرجل كلامه، فقال: "بُص يا سيدي، الزوجين اللي شوفتهم في الأول دول همّا أبوك وأمك لمّا دخلوا القصر عرفوا أنهم هيموتوا بسبب مرض ملهوش علاج، وساعتها كان عندهم فلوس كتير، لكن مكنش عندهم أهل كويسين يقدروا يطمنوا عليك معاهم، فعملوا الملجأ ده بفلوس كتيرة واللي اتبقى عملوا حساب في البنك كوديعة باسمك تصرف عليك وعلى الملجأ لحد ما تكبر".

اندهش ناير من ذلك الحديث، فقام بسؤال الرجل: "طب ليه عملوا فيا كدا وليه فضلت طول عمري عايش مجهول مليش حد أعرفه منهم ؟"

قال الرجل: "لأن مكنش ينفع يقولوا عليك إنك ابن صاحب الملجأ، علشان خافوا على مشاعر الأطفال الموجودين معاك، وكمان كانوا خايفين عليك من اهلهم احسن يستغلوك وياخدوا الفلوس اللي سابوها ليك. وصدقني يا ناير أبوك وأمك اللي عملوا ده، على قد ما هو صعب ليك دلوقتي، لكن هتعرف إنهم من كتر ما همّا بيحبوك وخافوا عليك، فعملوا معاك كده، ممكن متفهمش دلوقتي، لكن بعدين هتفهم".

ظل ناير يبكي حتى نظر إلى السلسلة التي كان يلبسها، فوجد أنه باقي وحدات قليلة وينتهي الوقت، فسأل الرجل سؤاله الأخير: "طب فين الشهادة اللي تثبت أن أنا ابن محمد الصادق صاحب الملجأ.. كل حاجة يا ناير هتلاقيها في...

انتهى الوقت وعاد ناير إلى جسده هو وطارق، وانغلقت قطعة الحديد مرة أخرى، فحاول فتحها مرة أخرى لكي يذهب مرة ثانية، ولكن لم يجد ذلك السائل في الزجاجة، فتذكر تلك اللفافات التي توضح أنه في تلك القطعة زجاجتان، الأولى استخدمها أبوه، والثانية استخدمها هو وطارق، والآن أصبح الصندوق لا يساوي شيئًا وما زال لا يعرف ناير مكان الأوراق التي تثبت أنه ابن محمد الصادق صاحب الملجأ .

لم يتحدث ناير بكلمة واحدة، وبسرعة غادر حجرته في الملجأ وترك الضيف وطارق ونزل إلى المديرة، فدخل إلى المكتب وهو متوتر ويتصبّب عرقًا وقال لها: "فيه حاجة حصلت لازم تعرفيها".

مديرة الملجأ: "الأول اهدأ شوية عشان شايفاك متوتر، وبعد ما تهدا ابقى قولّي إيه هي الحاجة دي؟"

جلس ناير وهو يلتقط أنفاسه، ويحاول أن يهدئ من روعه، وبعد دقائق بدأ يتحدث وقال: "باختصار أنا كان معايا صندوق كشف لي عن شخصيتي وعرفت منه أني ابن محمد الصادق، صاحب الملجأ، بس النقطة اللي معرفتش أوصلها هي الأوراق اللي تثبت أني ابنه".

فابتسمت المديرة وقالت له وكأنها تعلم ما يقوله ناير: "طب اللي يجبلك الأوراق دي؟"

ناير: "تقصدي إن الأوراق دي معاكي؟"

مديرة الملجأ: "آه، الأوراق معايا، ومردتش أقولك عشان دي كانت وصية والدك ووالدتك إنك تعرف الحقيقة بنفسك، وعشان أنا كنت واثقة فيهم سكت واستنيت لحد الوقت المناسب اللي تقدر تفهم فيه بأنك تخاف تجرح الأطفال اللي في الملجأ، عشان كده خبّوا عليك وعلّموك درس كبير إنك تحس باللي حواليك، وتعيش ضيقة الحال اللي الأيتام عاشته طول الوقت، فكانوا لازم يعملوا كده عشان يخلقوا فيك روح الرحمة، لما تعرف أنك عندك فلوس كتير، فمتغلطش وقتها، ومتساعدش اللي محتاج ليها، ودلوقتي أحب أقولك الأوراق اللي عايزها خدها".

توقفت مديرة الملجأ عن الكلام، ومدت يدها في أحد أدراج مكتبها، وأخرجت مجموعة من الأوراق وأعطتها لناير، وكأنها كانت تعلم أنه سيأتي اليوم ليأخذها؛ لأنها كانت محتفظة بها طول الوقت في خزانة غرفتها الخاصة.

فأخذ ناير الأوراق وشكر المديرة، وعندما خرج وجد طارق أمامه بانتظاره<

طارق: "إيه يا ابني نزلت فجأه من غير ما تقول حاجة ولا حتى تقولي مبروووك".

ناير: "مبروووك! مبروك على إيه؟"

طارق: "يا ابنى خلاص، مفيش لعنة، وأخيرًا هقدر أتجوز سارة وأعيش طبيعي زي كل الناس".

ناير: "بجد! ألف مبروووووك يا صديقي، والحمد لله أنك اتخلّصت منها قبل ما تموتني".

يضحك طارق ويقول: "متخافش حتى لو كانت اللعنة موجودة، فأنت عارف إني كنت باعرف أتحكم في مشاعري من ناحية كل الناس، لكن سارة اللي كنت خايف منها".

ناير: "بس خلاص يا صديقى هتتجوزها أخيرا، ونشوف ولادك بقى".

"ولادي....."

انحنت رأس طارق للأسفل وبدأ يبكي.

ناير: "مالك يا ابني، قلبت وشك ليه؟ هو احنا مش كنا بنضحك دلوقتي!"

طارق: "اللعنة لمّا خرجت حرمتني من الخلفة يا ناير".

تظاهر ناير بالصمود، وحاول أن يخفف على صديقه، فقال:

"معلش يا صاحبي، وبعدين كفاية إنك هتعيش حياتك بطبيعتك ومع الإنسانة اللي بتحبها دي لوحدها بالدنيا".

فمسح طارق دموعه بيده وقال: "عندك حق، كفاية إني أعيش حياتي زى الناس دي كفاية، أحسن من السجن اللي كنت عايش فيه، المهم دلوقتي إنت عملت إيه ؟"

ناير: "أنا عرفت أهلي، وكمان مش هتصدق هيبقوا مين يا طارق".

طارق بشغف: "إيه مين بقى ؟ قولي".

ناير: "محمد الصادق ده يبقى أبويا".

طارق: "استنى استنى، أنت تقصد محمد الصادق صاحب الملجأ، اللي احنا فيه دلوقتى!"

ناير: "آه هو أي نعم، استغربت ليه خبّوا عليا، وليه كل الحوارات دي تحصل، عشان أعرف أنا ابن مين، لكن مش مهم، المهم أنى فهمت في الآخر، همّا كانوا عايزين يقولولي إيه".

"طب.. وأنا بقى جه الوقت إني أقولك أنا ساعدتك ليه، عشان الموضوع يبقى مكشوف بالمرة".

قالها الضيف وهو متجه لناحية ناير وطارق، فرد عليه ناير: "إيه مش انت زائر عادي بتيجي الملجأ تشوف الأطفال وكدا".

فقال: "ده اللي انتوا تعرفوا عنّي، لكن الحقيقة أني أنا كنت من أفضل وأقرب التلاميذ عند والدك، وعشان عارف السؤال المتوقع بتاعك يا ناير، فأنا هاقولك على كل حاجة".

اتسعت حدقتا عين ناير من الدهشة، بينما راح الضيف يسرد حكايته بالتفصيل فقال: "والدك يا ناير كان من أشهر الناس في فك الشفرات والمخطوطات الأثرية، وقدر بموهبته دي أنه يجمع ثروة كبيرة، لكن المختلف في الموضوع أنه مكنش طمّاع زي أى حد عنده فلوس، وكان دايما بيساهم في تعليم الموهوبين اللي زيه في الموضوع ده، وأنا كنت واحد من التلاميذ اللي اتعلموا كتير من والدك، وقدرت مع الوقت أكسب ثقته، وفي يوم من الأيام بعد ما عرف أنه مريض هو وزوجته بمرض ملهوش علاج، اتصل بيا، ولمّا روحته البيت قالي على كل اللي ناوي يعملوا عشانك وعشان يقدر يساعد الأطفال اللي ملهومش مكان أو أهل لآخر يوم في عمره، لا وكمان تفضل مساعدته ليهم دايمة طول الوقت حتى بعد ما يموت، المهم خلّاني أوعده بأني أعمل كل اللي يطلبه منّي حسب ما هو وصّاني عليه، وكان من ضمن الحاجات دي أني أساعدك لمّا يبقى عندك اشتياق أنك تكتشف اللي جوا الصندوق، وبالفعل ده حصل، وقدرت أساعدك، لكن قبل ما أعمل ده، وقبل ما والدك يموت، طورنا المفاتيح وخلناها إكترونيه عشان تفتح ببصمة إيدك انت وبس، وعملنا الموضوع ده بعد ما خرج والدك من أبواب الكرمة المدينة اللي اكتشفها والدك واللي هى السبب في أن والدك يعرف حقيقة مرضه هو وأمك، وهي دي يا سيدي كل حاجة عنّي وعن الوصية اللي وصاني بيها والدك".

ناير وهو لا يزال منبهرًا بما سمع: "مش عارف أقولك إيه بصراحة غير أني فرحان بأن دماغ والدي كانت تحفة بالطريقة دي".

الضيف: "فعلا.. وأنا أحسدك على والدك، الله يرحمه، يا ناير".

ناير: "طب بعد الحسد يا طارق، عايز أقولك يلّا نروح لسارة، عشان نخطبهالك رسمي".

طارق يقفز فرحًا ويقول: "وهو ده الكلام اللي يفتح النفس، يلا يا صديقي".

فذهبوا همّا الاتنين، وهمّا في طريق خروجهم من الملجأ، لمح ناير مريم واقفة على بُعد خطوات منهم، فنظر إليها واتجه نحوها.. وقال كأنه يهمس لها:

"مكنتش متخيل إنك وشك هيكون حلو عليا، أخيرًا بقى ليا كيان، وعرفت أنا مين وابن مين".

مريم: "بجد، أنا فرحانة ليك يا ناير، ومبسوطة أوي ليك".

ناير: "وأنا هبقى مبسوط أوي لمّا تبقى فرحتنا واحدة".

مريم مرتبكه: "مش فاهمة، تقصد إيه بكدا".

ناير: "أقصد إني حبيتك وإزاي مش عارف، عرفتك في وقت صغير، لكن حاسس إني أعرفك بقالي سنين، مش عارف ليه، وحتى لو هترفضي، وده اللي متوقع، بس من فرحتي باللي بيحصل معايا لقيت نفسي بقولك".

مريم بشيء من الخجل: "ومين قالك إني هارفض ؟! أنا فعلا جاية أشتغل وأركز في كليتي، لكن من ساعة ما شوفتك وأنا حالي بقى متشقلب، بقيت دايما باحكي عنك مع نفسي، من كتر ما لقيت فيك لمعة عين بابا وحنيته، عشان كدا عايزة أقولك: وأنا كمان حبيتك".

نایر: "ده بجد ده ؟!"

مريم: "آه بجد، ولا رجعت في كلامك يا أستاذ ؟!"

نایر: "أرجع في كلامي إيه بس، دا أنا مش مصدق إنك وافقتي".

يتدخل طارق في الحوار قائلًا: "وكدا الخطوبة بقت خطوبتين".

وبالفعل خطب طارق سارة وأقاموا حفلًا كبيرًا لزاوجهم بعد خطبتهم بشهر، وخطب نایر مريم في يوم فرح طارق، ولكن بعد انتهاء حفل الزفاف، وبعد دخول الزوجين شقتهم.. وبمجرد دخول عش الزوجية احتضن طارق سارة ورفعها بين يديه، وقال: "وأخيرًا بقينا مع بعض وفي شقة واحدة يا حبيبتي".

ردت سارة وهي تكاد تطير فرحًا: "أخيرًا يا طارق، أنا مش مصدقة نفسي، دايما كنت بتسبني وأحس إنك هترجع تاني، بس سبب إنك تسبني مكنتش عارفة بصراحة، كان إيه السبب!"

بعد أن أنزلها طارق واحتضنها وأجلسها على أقرب فوتيه، قال: "أنا هاقولك كل حاجة، بُصي يا ستي، أنا كان عندي لعنة أن أي حد أحبه يموت، وباختصار أوي كنت خايف إنك تضيعي منّي، فكنت بسيبك، وعشان مكنتش أقدر أبعد عنك، فكنت برجع تاني.. وهكذا".

سارة: "لعنة! إيه اللي بتقوله ده؟!"

طارق: "ما هو لازم تصدقيني، عشان الموضوع طويل وتفاصيله عايزة يوم كامل، بس الأهم إني اتخلّصت من اللعنة، أي نعم حرمتني إني أخلف، بس مش مهم، أنا وانتي بقينا زي بعض، مبنخلّفش".

سارة: "طارق، إنت بجد متأكد من اللي انت بتقوله ده؟"

-طارق: "آه بجد، أنا مش هخلف، بس ما لك زعلتي ليه ما دام احنا متشابهين"

سارة: "لا مش متشابهين يا طارق".

طارق مندهشًا: تقصدي إيه بالكلام ده؟"

سارة: "أنا أقدر أخلف يا طارق".

طارق: "إيه، إزاي تقدري تخلّفي بعد الحادثة والعملية اللي عملتيها، وانفجار الرحم".

سارة: "أنا فعلا عملت عملية، بس كان غرس بس، لكن مفيش انفجار رحم ولا أي حاجة زي كدا".

طارق: "طب وليه خبيتي عليا وخلّتيني أقلق عليكي وأحس بالذنب؟"

سارة: "عشان أحس لو لمرة واحدة إنك بتحبني من قلبك، كنت دايما بحلم بمكالمة حلوة منك وأسمع فيها كلام حلو، أو حتى نظرة حنان منك من غير ما

تقلب وشك عليا، كانت أحلامي بسيطة معاك وانت عقدتها وصعّبتها عليا، فكان لازم أعمل كدا".

طارق: "يااااه دا أنا طلعت غبي فعلا، أنا كان ممكن أعرف من التقارير".

سارة: "كنت بخبيها منك، وكمان اتفقت مع الدكتور يقولك كدا، وحتى لمّا دفعت حساب المستشفى المحاسب مرضيش يقولك إن الحساب قليل ليه، كل اللي قالهولك إن الدكتور عمل معاكم الواجب وخفّض فلوس العملية، بس بجد أنا آسفة لأني اتصرفت كدا، أنا بس عملت كدا عشان بحبك، وكان نفسي أشوف حبك ليا في عنيك".

طارق: "أنا خايف تقوليلي إن كمان الدم اللي خده مني الدكتور مش ليكي".

تضحك ساااارة وتقول: "لا مش للدرجة دي، ده فعلا كان ليا عشان كنت نزفت دم كتير، وبعدين خلاص بقى خلّي قلبك أبيض بقى، بتأسف لك يا جدع انت، وبرقة ودلال تضربه على كتفه بقبضة يدها اليمنى".

طارق: "وأنا مسامحك يا عسل انت يا جميل".

الفصل الأخير
سُؤالُ العُمْرِ كُلّه

تجلس مريم بجانب ناير وهو يحمل الصندوق على يديه وينظر في عيني مريم مبتسمًا ابتسامة خفيفة، ويقول: "وهي دي قصة حياتي كلها يا ستي".

مريم: "يعني إنت عايز تقولي إن الصندوق اللي سبهولك باباك هو اللي كشف لك الحقيقة ؟"

ناير: "أي نعم".

مريم: "وأن السائل اللي كان جوه الأزايز ده هو اللي دخلك مدينة الكرمة ؟"

ناير: "أكيد".

مريم: "إيه يا ابني ما لك بتكلمني كدا ليه ؟"

ناير: "عشان مش عايز أتكلم كتير وأنا باصص في عنيكي".

مريم: "يا لهوي ع الكلام الحلو ده، بس نتكلم بجد شوية، وبعد كدا نبقى نقول كلام حلو براحتنا".

ناير: "تمااااام، إيه بقى ؟"

مريم: "هتعمل إيه مع الولاد اللي موجودين هنا، يا ترى هتقولهم حكايتك ولا لا ؟"

نايز: "بصراحة مش عايز أقولهم، وناوي أسيب الأمور تمشي زي ما بابا رسمها ليا، دا أكيد هيبقى لصالح الولاد عشان ميزعلوش إنهم مظهرش ليهم أب زيي، وساعتها هيغيروا معاملتهم معايا، ومش هيحبوني زي الأول، ودا أكيد هيزعلني".

مريم: "بجد انت طيب أووي يا نايز".

نايز: "وأنا بحبك أوووي".

وفي هذه اللحظه تخرج إضاءه لونها أخضر من فتحات صغيرة بالصندوق، فتنتبه إليها مريم وتهتف: "الحق يا نايز، الصندوق بينوّر".

فيفتح نااير الصندوق، ويقول: "إيه ده، السائل رجع الإزازة تاااني".

وينظر إلى مريم ويقول: "بتفكري في اللي بفكر فيه!"

مريم: "أكيييييد".

نايز: "إذًا فلنذهب".

فذهبوا ليكتشفوا مستقبلهم معًا كيف يكون

* * *

وهذه كانت قصة نايز وصديقه طارق.. وفي الواقع هناك العديد من الأحزان والمآسي التي تنتظر الكثير من الناس، وتجعلهم تحت رحمة النسيان، حتى لا يتذكروا همومهم وأحزانهم، ولكن الكل يريد ألَّا يتدخل أحد في حياته أو

اختياراته.. الكل يريد أن يعيش كيفما شاء، ولكن هذه الحياة لا تعطي الكل بالتساوي، فلهذا توجد طبقات، وأما نحن الذين ضاق عليهم الحال، فرغم عدم معرفة مستقبلنا، إلا أننا سنظل متعلقين بمعتقداتنا وبإلهنا الذي لا ينسى أحدًا، ولا يترك مظلومًا دون أن ينصره يومًا ما، فأنا لا أريد أن أعرف مستقبلي، مثل ناير، ولكن غيري يريد، ولا أريد أن أكون السبب في موت أحد مقابل المال، ولكن غيري يريد.

والآن انتهت قصة ناير وصديقة طارق.. ولكن الحياة لا تنتهي احداثها، والقدر لا تتوقف تصاريفه.. ولتصاريف القدر حكمة أعظم من كل تنتجه خيالات المبدعين، وأجمل من عيون كل بنات حواء، وأرق من كل أنفاس الربيع.. ولكن تلك الحكمة يستعصي على الكثيرين فهمها فيعيشون أسرى خيال سقيم أو تفكير قاصر او رؤية فتغرب على سماء حياتهم شموس السعادة وأنوار القناعة وطمأنينة الرضا، وتتلاطم بهم أمواج الحياة فتقذف بهم في بئر التعاسة السرمدية حتى لو كان ظاهرهم يقول أنهم في النعيم يرفلون، وفي القصور يقيمون.

وعلى قمة ما تنبئ به الأيام هو اليقين.. اليقين بأن الله لن يترك الأحزان تسكن قلبك إلى الأبد، فمهما كانت الأيام ثقيلة والأحداث مريرة والنفوس ذليلة فلابد أن يأتي فجر يبدل العسر يسرا، والضيق سعة، والدموع ضحكات، والألم سعادة، والحرمان عطاء سخيا.

لكي تتبدل أحوالك وتصبح واحداً من أهل الحكمة ما عليك إلا أن تستمسك بكل ما اوتيت من قوة بالإيمان بأن الله لا ينسى أحداً، ولا يترك مظلوماً دون أن ينصره يوماً ما.. وإذا كان هذا هو يقينك فإملأ الدنيا عملاً وحباً وخيراً..

انثر الخير على الجميع، وانتظر العطاء ممن بيده الملكوت.. ملكوت السماوات والأرض.

وفي النهاية اطلب منك يا صديقي ان تسأل نفسك قبل ان تخلد الي النوم **(لماذا أنا مخلوق في هذه الدنيا ؟!!)** حينها ستفهم وتكتشف هدفك وترضي بما اعطاه الله لك.

تمت

للتواصل مع الكاتب

https://www.facebook.com/kero.bero.35

Odabaa
OD
2000
للنشر و التوزيع